ضوء اللآلي
شرح
بدء الأمالي

تأليف

إسماعيل بن عبد الباقي اليازجي
الشهير بابن كاتب الينكجرية
ت 1121 هـ

تحقيق
الدكتور
جميل عبد الله عويضة

1432هـ /2011م

الناظم والشارح والكتاب

الناظم[1] :

علي بن عثمان بن محمد بن سليمان، أبو محمد، سراج الدين التيمي الأوشي الفرغاني الحنفي .

والاوشي : نسبة إلى أُوش، بضم الهمزة، من بلاد فرغانة الاوشي

وهو ناظم قصيدة : بدء الامالي ــ في العقائد ، ومن مؤلفاته : نصاب الاخبار لتذكرة الاخيار ، اختصر به كتابه (غرر الاخبار ودرر الاشعار) ــ في ألفاظ الحديث النبوي ، وله الفتاوى السراجية ، فرغ من تأليفه سنة 569هــ .

ب ــ الشارح[2] :

إسماعيل بن عبد الباقي بن إسماعيل اليازجي ، الحنفي ، الدمشقي ، اشتهر بابن كاتب الينكجرية ، كان من العلماء الأجلاء البارعين في الفنون ، ولد بعد الخمسين وألف تقريباً ، ونشاء بدمشق ، واشتغل بطلب العلم على جماعة من الشيوخ ، منهم : الشيخ علاء الدين الحصكفي المفتي ، والشيخ إسماعيل الحايك ، والشيخ إبراهيم الفتال ، وأخذ عن الشيخ يحيى الشوي المغربي ، وأخذ عن السيد عبد الرحيم المقدسي ابن أبي اللطف ، واشتهر بالفضل ، ودرس وأفاد بالجامع الأموي ، ووعظ به .

كان أبوه كاتب أوجاق الينكرجية بدمشق ، ولفظة يازيجي بالتركية بمعنى كاتب ، وقد قتل بأمر سلطاني ، هو ورئيس الجند بدمشق عبد السلام أغا ؛ لفتن ظهرت منهما ، وكان قتلهما في زمن الوزير عبد القادر باشا ، والي دمشق ، في سنة تسع وستين بعد الألف .

ومن مؤلفاته :

ضوء اللآلي شرح بدء الأمالي ، ومختصره نور المعالي لشرح بدء الأمالي ، ورسالة قطر الغيث ، شرح مقدمة أبي الليث ، والتعليقة الوفية لشرح المنفرجة الجيمية ، و الامتناع ، في تحريم الملاهي والسماع ، وله شرح على الهداية ــ في الفقه ، وصل فيه إلى رُبع العبادات ، و له شرح على الجلالين ــ في التفسير ، لم يكمله ، ومطالع الأنوار ولواقح الأفكار وجواهر الأسرار لشرح تنوير الأبصار، ومنه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق رقمها (8131) .

---

[1] الأعلام - الزركلي 4/310

[2] لم يرد اسم الكتاب ، ولا اسم الشارح في المخطوطتين اللتين اعتمدتهما في تحقيق هذا الكتاب ، وقد تمكنت من معرفة اسم الكتاب ، واسم الشارح من خلال ما ورد في مخطوطة نور المعالي لشرح بدء الأمالي ، وهو للشارح نفسه ، وفي هذا الكتاب نقول ذُكرت في نور المعالي ، وفيه تصريح باسم هذا الكتاب .
انظر ترجمة الشارح في : الأعلام : 1/317 ، سلك الدرر 1/ 160

وكأنت وفاته بدمشق ، في يوم الأربعاء عاشر جمادي الأولى سنة احدى وعشرين ومائة وألف ودفن بتربة الباب الصغير عند والده .

ج ــ النسخ المعتمدة :

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسختين هما :

النسخة الأولى : نسخة مصورة من مكتبة جامعة الملك سعود ــ قسم المخطوطات ، رقمها (6858) ، وتاريخ نسخها سنة 1143هـ ، وعدد أوراقها (35) ورقة ، وفي كل ورقة صفحتان ، وفي كل صفحة (21) سطرا ، ومسطرتها 21× 15سم ، وهي نسخة جيدة ، خطها نسخ حسن . وأبيات المتن كتبت بالحمرة ، وهذه النسخة عليها الكثير من التعليقات والشروح والإضافات في الحواشي ، وقد رمزنا لها بالرمز (أ) واتخذناها أصلا .

النسخة الثانية : وهي نسخة مصورة من مكتبة جامعة الملك سعود ــ قسم المخطوطات ، أيضا ، رقمها (7594) ، وتاريخ نسخها سنة 1084هـ ، وعــدد أوراقها (32) ورقة ، وفي كل ورقة صفحتان ، وفي كل صفحة (19) سطرا ، ومسطرتها 21×16سم، وهي نسخة حسنة ، وأبيات المتن كتبت بالحمرة ، وخطها نسخ معتاد . وقد رمزنا لها بالرمز (ب) .

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أننا اعتمدنا في توثيق اسم الكتاب ، واسم مؤلفه على مخطوطة كتاب (نور المعالي لشرح بدء الأمالي) لإسماعيل بن عبد الباقي اليازجي وهي نسخة مصورة ، من معهد الثقافة والدراسات الشرقية ، جامعة طوكيو ــ اليابان ، ورقمها [2101] .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للمولى القديم ، الموصوف بأوصاف الكمال ، الحيّ المدبّر ، المُقدِّر ، ذي الجلال والجمال، والصلاة على رسوله المُفضَّل على زمرة النبوة ، والأرسال ، محمد وآله ، الذين نالوا به جميع أصناف المنال ، وبعد ،،،

فقد قال القاضي سراج الدين الأوشي ، أسعده الله بحسن المآل :

يَقُولُ الْعَبْدُ فِي (بَدْءِ الْأَمَالِي)   لِتَوْحِيدٍ بِنَظْمٍ كَالَّلآلِي

يقول مِن[1] القول ، وهو التكلّم بكلام صادق أو كاذب ، والعبد إنسان يملكه مَن لا يُملَك ، وأراد المؤلف به نفسه ؛ اعترافا بعبوديته ، التي هي نهاية الخضوع والتواضع ، والألف واللام فيه عوض عن المضاف إليه ، تقديره عبد المعبود بالحق ، والبدء بمعنى الابتداء ، والأمالي اسم كتابه هذا ، وفي الأصل جمع إملاء ، وهو الكَتْب عن ظهر القلب ، من غير نظر إلى المكتوب ، وهو ظرف ليقول ، ولتوحيد غاية له ، أي لأجل توحيد المعبود بالحق ، وهو اعتقاد العبد أنّ المعبودَ واحدٌ لا شريك له ، مع الإقرار باللسان ، والإيمان لازمه ، وهو التصديق بالجنان ، والإقرار باللسان ، وبنظم متعلق بالبدء لقربه ، وهو الجمع والترتيب بين الأشياء، والمراد به هاهنا ضد النثر ، وكاللآلي يتعلق بمحذوف ، وهو صفة ، أي بنظم كائنٍ كاللآلي ، والكاف بمعنى المِثْل ، فلا حذف للمتعلق ، وهي جمع اللؤلؤ ، وهو كِبار الدُّر ، وصِغار المرجان ، والمعنى : يتكلم عبد الله في ابتداء / كتابه المسمى **2 ب** بالأمالي ؛ لبيان توحيده تعالى ، بنظم كلام حَسَن الترتيب ، متناسب الكلمات ، مثل نظم اللآلئ المنتظمة في سلك واحد ، لميل الطبع إليها ، واستحسانه ترتيبها ، فالغرض من تأليف هذا الكتاب تمهيد أصول الدين ، وإقامة دعائم التوحيد ، الذي هو علم الكلام ؛ لإرشاد أمة محمد عليه السلام إلى تصحيح العقائد[2] الإيمانية ، وهو فرض عين عند الشافعي ؛ دفعاً للاضطراب في التوحيد ، وفرض كفاية عند غيره ؛ دفعا لتكليف ما ليس في الوسع عند العامة ، لدقة طُرق هذا العلم ، فلا يهتدي كل أحدٍ إليها ، فإذا[3] عرفت هذا ، فنقول[4] : صانع العالَم واحد ، لا شريك له فيه[5] ، إذ لو كان له صانعان ، فإمَّـــا أنْ يكون بينهما توافق في التخليق ، فهو دليل عجزهما ، أو عجز أحدهما ، لأنّ مَنْ اختار الكمال لا يوافق إلاّ عن[6] الاضطرار ، وهو[7] مُحال على الله تعالى ، أو يكون بيهما تخالف ، أي تمانع في التخليق ، بأنْ يُريد أحدهما خلق شخص في وقت ، والآخر موته في ذلك الوقت ، فإمَّـــا أنْ يحصل مرادهما ، فهو مُحال ؛ لامتناع الجمع بين الضدين ، أو لا يحصل مرادهما معا ، فهو عجزهما ، ويلزم خلق المحل عن الضدين أيضا ، فهو محال ، أو يحصل مراد أحدهما ، دون الآخر ، فيلزم عجز الآخر ، والعاجز لا يصلُح للأُلوهية ، لأنّ العجز من إمارات الحدوث ،

---

[1] كتب : عن ، وما أثبتناه من ب .
[2] كتب : الاعتقاد ، وما أثبتناه من ب .
[3] كتب : وإذا , وما أثبتناه من ب .
[4] في ب : قال .
[5] فيه : ساقطة من ب .
[6] في ب : على .
[7] كتب : فهو ، وما أثبتناه من ب . وسنتجاوز عن بعض هذه الاختلافات التي لا تودي إلى تغيير المعنى فيما يأتي .

وإذا لم يكن إثبات صانِعَيْن ، كان صانعا واحدا بالضرورة ، فيكون صانع العالَم واحدا بالضرورة .

إِلهُ الخَلْقِ مَوْلاَنَا قَدِيمٌ وَمَوْصُوفٌ بِأَوْصَافِ الْكَمالِ

/ الإله اسم غير صفة ، لأنه لا يوصف ، لا يُقال : شيء إله، كما لا يُقال : شيء رجل 3 أ ، وهو إمَّـا مأخوذ من أَلِهَ إذا تحيّر ، أو من أَلَهَ إذا عَبَدَ ، فمعناه المعبود ، فهو اسم جنس ، يمكن إطلاقه على غير الله بحسب الوضع ، لا بحسب الاستعمال ، والله اسم علَم ، لا يمكن الاشتراك فيه ، لقوله تعالى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾[1] ، أي ليس لله سَمِيٌّ أصلا ، وجاز إضافة الإله دون الله ، كقوله تعالى : ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ﴾[2] ، ومنه : إله الخلق ، أي معبود كل مخلوق بالحق ، وإضافته معنوية ، بمعنى اللام ، أي للخلق ، وهو مصدر بمعنى المفعول ، واللام فيه للاستغراق ، أي جميع المخلوقات ، وفائدة هذه الإضافة نفي الاشتراك بالله في التخليق ، وقد مرّ بيانه بالبرهان ، ومولانا من الوليِّ ، وهو الحكم ، والنصرة ، والقرب ، والمحبة، والمراد هنا الحاكم والناصر ، والقديم ضد الحادث ، لأنّ القديم موجود ، لم يسبقه العدم ، والحادث موجود ، سبقه العدم، وإله الخلق مبتدأ، ومولانا عطف بيان له ، وقديم خبر المبتدأ ، وموصوف بأوصاف الكمال ، وهو الخروج من القوة إلى الفعل ، بحيث لا يبقى لموصوفه حالة منتظرة ، وفيه مسألتان :

الأولى ؛ إنه قديم ، بمعنى أنه أزليٌّ ، واجب الوجود بالذات ، واجب البقاء ، لأنه لو لم يكن قديما ، لكان حادثا ، فيحتاج إلى مُحدِث ، فيكون ممكنا ، فيلزم منه إمَّـا الدور ، أو التسلسل ، وكلاهما باطلان .

والثانية : إنه تعالى موصوف بالصفات[3] الكمالية ، التي هي العِلم ، والقدرة ، والكلام ، والتكوين ، والسمع ، والبصر ، إلى ما لا يتناهى من صفاته اللائقة / به تعالى 3 ب لأنه لو لم يكن موصوفا بها ، لكان موصوفا بنقائضها ، كالجهل ، والعجز ، والخرس ، وأمثالها ، التي هي إمارة الحدوث ، فيلزم أن يكون ذاته محل الحوادث ، فيكون حادثا ، لأنّ ما يخلق من الحوادث ، فهو حادث ، وقد ثبت أنه قديم ، هذا خلق[4] .

هُوَ الحَيُّ المُدَبِّرُ كُلَّ أَمْرٍ هُوَ الحَقُّ المُقَدِّرُ ذُو الجَلاَلِ

أي : إله الخلق ، الحي الكامل ، الذي لا تزول الحياة عنه ، وهي عبارة عن وصف الموجود الذي به يصلح أنْ يُقْدِر ، ويعلَم ، ويُريد ، وهو أزليّ قائم بذاته تعالى ، إذ لو لم يكن قائما

---

[1] مريم 65
[2] العنكبوت 46
[3] كتب : بأوصاف ، وما أثبتناه من ب
[4] تكرر قوله : هذا خلق ، ولا أدري ما الذي يعنيه بهذا القول .

به ، لزم أن لا يكون قادرا عالما مُريدا ، فثبت نقائضها ، التي هي النقائض ، وذات الله تعالى منزهٌ عن جميعها ، وإلاّ لزم حدوثه تعالى ، وقد بيّنا أنه قديم ، فيلزم أنْ يكون حيًّـــا بالضرورة ، وإله الخلق هو المدبر ، أي الذي يقضي كل أمر في القضاء كما شاء ، وينزل من السماء إلى الأرض ، ويُصلحه بعلمه الأزلي في موضعه من السعادة ، والشقاوة ، والأجل ، والرزق ، والثواب ، والعقاب ، وغير ذلك ، وإلاّ لكان فعله وإيجاده بالسَّفه ، وهو محال ، وإله الخلق هو الحق المُقدّر ، أي هو المستحق للأُلوهية من غير شركة ، الذي يخلق كل شيء بقدر ، كما أخبر في كتابه القديم ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[1] ، أي مُقدَّراً بشكل ووصف يوافق ما في اللوح المحفوظ ، فمفعول المقدّر محذوف بدلالة ذِكر كلّ أمرٍ قبله ، فجميع الخلق حادث بقضائه وقدرته ، كما ذهب إليه المحققون ، وإله الخلق ذو الجلال ، أي موصوف بالصفات السلبية أيضا ، ككونه ليس بجوهر، ولا عرض ، ولا جسم ، ولا لون ، ولا كيف ، وغير ذلك ، ولا يلزم أنْ يكون / موصوفا بنقائضها ، التي هي **4 أ** إمارات الحدوث ، فيكون ذاته حادثا ، وقد ثبت أنه قديم ، هذا خلق .

مُرِيدُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ الْقَبِيحِ وَلَكِنْ لَيْسَ يَرْضَى بِالْمُحَالِ

أي : إله الخلق مُريد في صنعه خيرا كان أو شرا قبيحا ، كالإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، بإرادة قديمة قائمة بذاته تعالى ، وهي حالة مَيَلانيّة ، تظهر في نفس الفاعل لترجيح أحد الأمرين من فعل أو ترك ، لأنه لولاها لزم الترجيح بلا مرجح ، لاستواء الأوقات والكيفيات والكميَّـــات ، بالنسبة إلى القدرة ، التي تأثيرها في الإيجاد الذي لا يختلف باختلافها ، فتقديم بعض أفعاله على بعض ، مع جواز تأخيره وتخصيصه بوقت دون وقت ، ووجه دون وجه ، يحتاج إلى مخصص هو الإرادة ، لئلا يُنسب إلى التسفّه ، وليس ذلك نفس القدرة ، لأنّ نسبتها إلى جميع الخلق سواء ، ولا العِلْم بالوقوع ، وإلاّ لزم أنْ يقع كل شيء بعلمه بالوقوع دفعة ، لا في وقت دون وقت ، ولا الحياة ؛ لأنها كالقدرة في نسبة الاستواء إلى الأوقات ، فلم يبق إلاّ الإرادة ، التي توجب تخصيص المفعولات بوجه ووقت مخصوصين ، هذا هو الدليل العقلي ، وأمَّــا الدليل النقلي فقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[3] .

وقوله : وَلَكِنْ لَيْسَ يَرْضَى بِالْمُحَالِ ، استدراك مما قال إنه مريد الشر بالوقوع ، ولكنه لا يرضى بالمُحال ، وهــو المحال الشرعي ، وفسره بما يوجب ارتكابه العقاب ، سواء كان كفرا ، أو معصية ، لا المُحال العقلي ، وهو / ما يمنع العقل وجوده في الخارج ، **4 ب**

---

[1] القمر 49
[2] البقرة 185
[3] إبراهيم 27

كاجتماع النقيضين في محل واحد ، إذ ليس محلا للرضى وعدمه ، فعُلِم من ذلك أنّ الإرادة غير الرضى ، لأنّ الله تعالى أراد كفر الكافر ، لقوله تعالى : ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾[1] ، ولا يرضى بكفره ، لقوله تعالى : ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[2] ، ولأنّ الإنسان ربما يفعل شيئا بإرادته واختياره ، ولا يرضى به ، ولأنّ التفرقة حاصلة بينهما بحسب المفهوم ، إذ الإرادة ميل إلى فعل ، أو ترك ، والرضى إعطاء الثواب على حصول شيء موافق ، أو ترك الاعتراض على فاعله ، فعلى التفسيرين يثبت بينهما المخالفة ، فيثبت من ذلك أنّ الله تعالى مُوجِد للكائنات كلِّها على سبيل الاختيار ، لأنّه فاعل مختار ، فيكون مريدا لها ، لكن لمَّا كان بعضها قبيحا ، لم يتعلق به رضاه ومحبته ، بل تعلق به سخطه وكراهته .

صِفَاتُ اللهِ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتٍ وَلاَ غَيْرًا سِوَاهُ ذَا انْفِصَالِ

قال أهــل الحق : مفهومات صفات الله تعالى ليست عين ذاته ؛ خلافا للمعتزلة[3] ، ولا غير ذاته ؛ خلافا للكرامية[4] ، أمَّــا الأول فلأنّ مفهوماتها إنْ لم تكن ثابتة لذاته تعالى ، كان نقصا فيه ؛ لأنها صفات الكمال ، كما مر ، ونقائضها نقائض وإمارات الحدوث ، وإنْ كانت ثابتة لذاته تعالى ، كانت زائدة عليه ، قائمة به بالضرورة ، لأنّ صفات الشيء يمتنع قيامها بذواتها ، وبذات غيره ، فلو كانت عين ذاته ، يلزم الترادف بين اسم الذات ووصفه ، وهو محال .

وأمَّــا الثاني وهو أنها ليست غير ذاته تعــالى ، فلأنّ الغيرين هما اللــذان يمكن انفصال / أحدهما عن الآخر ، فلو كانت غير ذاته لاتّصف غير ذاته تعالى بها ، وهو محال لأنه 5 أ يلزم أن توجد صفاته الكاملة في غيره، فيكون ناقصا في ذاته، مستكملا بغيره ، وهو باطل ، قوله : ذَا انْفِصَالِ إشارة إلى تفسير الغير ، أي : المراد من غير الشيء ، ما ينفصل عنه بحسب الوجود ، لا ما يُغايره بحسب المفهوم ، لأنّ ما يُفهم من الصفات بالإجماع ، فأحدهما

---

[1] النساء 78

[2] الزمر 7

[3] المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية. وقد جاءت المعتزلة في بدايتها بفكرتين مبتدعتين:
ـ الأولى: القول بأن الإنسان مختار بشكل مطلق في كل ما يفعل، فهو يخلق أفعاله بنفسه.
ـ الثانية: القول بأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً ولكنه فاسق فهو بمنزلة بين المنزلتين، هذه حاله في الدنيا أما في الآخرة فهو لا يدخل الجنة لأنه لم يعمل بعمل أهل الجنة بل هو خالد مخلد في النار، ولا مانع عندهم من تسميته مسلماً باعتباره يظهر الإسلام وينطق بالشهادتين ولكنه لا يسمى مؤمناً. ثم حرر المعتزلة مذهبهم في خمسة أصول:
التوحيد ـ العدل ـ الوعد والوعيد ـ المنزلة بين المنزلتين ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

[4] الكرامية هم أتباع محمد بن كرام السجستاني، والكرامية فرقة من فرق المرجئة الذين خالفوا أهل السنة والجماعة في حقيقة الإيمان، وقد ظهرت هذه الفرقة في القرن الثاني الهجري، ومن آرائهم تجسيم المعبود وزعموا أنه جسم له حد ونهاية، وقالوا ان له وجهاً ويدين، يد لا كالأيدي ووجه لا كالوجوه واثبتوا جواز رؤيته، وقالوا : إن الله لا يقدر على اعادة الأجسام والجواهر إنما يقدر على ابتدائها .

غير الآخر بالضرورة ، وإنْ كانت غير منفصلة عن ذاته تعالى في الوجود ، فثبت أنّ صفات الله تعالى لا هو ، ولا غيره ، كالواحد مع العشرة ، فإنه ليس عين العشرة ، ولا منفصلا عنها .

صِفَاتُ الذَّاتِ وَالْأَفْعَالِ طُرًّا   قَدِيمَاتٌ مَصُونَاتُ الزَّوَالِ

صفاته تعالى سواء كانت صفات الذات ، وهي التي ليس فيها معنى إحداث الشيء ، أو صفات الفعل ، وهي التي بخلافها ، قديماتٌ ، قائمات بذاته تعالى ، لازمات له ، مصونات ، أي محفوظات عن الزوال ، أي عن أنْ تنفصل عن ذاته تعالى ، لاستحالة التغيّر فيه ؛ خلافا لأبي حسن الأشعري[1] من المتكلمين ، فإنه قال : صفات الذات قائمة بذاته ، وأراد بها ما يلزم من سلبها عنه نقيضه له ، كالعلم والقدرة والحياة ، وصفات الفعل حادثة غير قائمة بذاته ، وأراد بها ما لا يلزم من نفيها نقيصه له ، كالتكوين والإحياء والإماتة والخلق ، قلنا لو كانت صفات الفعل حادثة في ذاته لزم خلو ذاته في الأزل عنها ، ثم اتصف بها ، فيلزم حينئذ تغيير ذاته عما كان عليه ، وهو من إمارات الحدوث ، فيكون ذاته محلا للحوادث ، وما لا يخلوعن اللحوادث فهو[2] حادث ، وقد ثبت /أنه قديم بالذات ، هذا خلف .   5ب

قوله : طرا بمعنى جميعا ، حال من ضمير المستكن ، وقديمات .

نُسَمِّى اللهَ شَيْئًا لاَ كَالَاشيْا   وَذَاتًا عَنْ جِهَاتِ السِّتِّ خالِي

أي نحن نصف الله تعالى بأنه شيء ، بمعنى أنه موجود ثابت ، وليس فيه نقص له ، ولأنّ الشرع أذِن بإطلاقه عليه ، لقوله تعالى : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ ﴾[3] ، فإنه أطلق عليه ما أطلق على غيره ، وقال الجهمية[4] : لا يجوز إطلاقه على الله تعالى ، لأنه يُفضي إلى المشابهة بينه وبين خلقه ، ومنع المصنف ذلك ، لا كالأشياء ، أي أنه شيء لا كسائر الأشياء بحسب الحقيقة والصفة ، لأنّ ذاته تقتضي دوام وجوده ، وتقتضي إحاطة علمه بجميع الأشياء ، وتقتضي القدرة على كل الممكنات ، ولا شيء من الأشياء كذلك ، وأيضا صفاته قديمة ، وصفات غيره حادثة ، والكل يدل على نفي المشابهة ، وكذا نُسمِّي الله تعالى

---

[1] هو أبو الحسن علي بن إسماعيل يرجع نسبه إلى أبي موسى الأشعري. ولد سنة ستين ومائتين بالبصرة، وقيل: غير ذلك، وتوفي ببغداد. كان أبو الحسن الأشعري سنّيـا من بيت سنّة ثم درس الاعتزال على أبي علي الجبَّائي وتبعه في الاعتزال، ثم تاب ورَقِيَ كرسيّا في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فإني أعرِّفه بنفسي، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وان الله لا تراه الأبصار وان أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعايبهم.

[2] فهو : زيادة من ب .

[3] الأنعام 19

[4] الجهمية تطلق عَلَى جميع نفاة الصفات الإلهية؛ تنتسب إلى الجهم بن صفوان، ومن عقائدهم: إنكار جميع الأسماء والصفات، والقول بالإرجاء في فعل الإنسان، والقول بأن القرآن مخلوق، وغيرها. وفرقة الجهمية من الفرق التي تنتسب للإسلام، وقد خالفت أصول العقيدة الإسلامية في كثير معتقداتها، لذا يعتبرها الكثير من المذاهب الإسلامية كالسنةوالشيعة بأنها ليست فرقة إسلامية .

ذاتا لا كسائر الذوات ، أي ذاتا هو خال عن الجهات الست ، أعني :الفوق ، والتحت ، واليمين ، واليسار ، والأمام ، والخلف ، وذات غيره لا تخلو عن هذه الجهات ، لأنّه إمَّا مُتحيِّزا ، أو حالٌّ في المتحيّز ، والتحيّز يقتضي الجهة ، والله تعالى مُنزّه عن كونه مُتحيّزا ، أو حالاًّ فيه ، فلا يكون في جهة ما أصلا ؛ خلافا للمجسمة[1] ، فإنهم قالوا : إنّ الله تعالى في جهة ، وتمسّكوا بقوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [2] ، بمعنى استقرَّ عليه ، والجواب أنّ المراد بالاستواء الاستيلاء ، لا الاستقرار ، لأنّ سَوْق الكلام للمدح ، وهو لا يليق بالاستقرار ، فمعنى الآية الرحمن استوى وحكم على العرش ، وما حواه ، وهذا لا يدل على كونه في جهة[3] .

/ وَلَيْسَ الْإِسْمُ غَيْرًا لِلْمُسَمَّى لَدَى أَهْلِ الْبَصِيرَةِ خَيْرَ آلِ 6أ

قال بعض العلماء من أهل الحق : اسم الله تعالى عين ذاته ، الذي هو مُسمى ، بمعنى أنّ الحكم الوارد على الاسم حكم على المسمى ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ [4] ، فإنّ تبارك بمعنى تعالى ، والمتعالي هو الله تعالى ، المنزّه عن كل ما لا يليق به تعالى ، ويقول المسلم : أشهد أنّ محمدا رسول الله ، فإنه لو لم يكن الاسم عين المسمى لكان الشهادة بالرسالة على غير رسول الله ، فيكفر القائل ، وتمسكوا بالحكم الشرعي وهو أنه لو قال رجل: زينب طالق ، وقع الطلاق عليها ، والطلاق يقع على المسمى ، لا على اللفظ ، وكذا لو قال : عبدي حرّ ومدبر ، هذا مذهب الأكثرين من أهل السنة والجماعة ، وقال الأقلون منهم ، والمعتزلة : الاسم غير المسمى بالنقل والعقل ، أمَّا النقل فقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [5] ، وقوله عليه السلام : [إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ] [6] ، فإنّ ذلك يدل على تعدد الاسم ، وتعدد الاسم في المسمى مُحال ، وأمَّا العقل ، فلأنّ الاسم دالّ على المسمى ، فلو كان الاسم عينه ، لزم أنْ يكون الدالّ والمدلول شيئا واحدا ، وهو ممتنع، ولأنه لو كان عين المسمى لجاز أنْ يُقال : عبدت اسم الله تعالى ، وأكلت اسم الخبز ، وضربت اسم زيد ، وقعدت في اسم البيت ، لكنه نُسب قائله إلى الجنون والحماقة عند العقلاء ، وكذا لو تكلّم رجل بالنار ، ينبغي أنْ يُحترق لسانه ، فعُلِم من ذلك أنّ

---

1 المجسمة فرقة في الإسلام قديماً كانت تقول أن الله جسم ، ومن أبرز المجسمة عبر التاريخ الإسلامي ابن كرام زعيم الفرقة الكرامية. و هو لقب أطلقه الذين يقولون: إن إثبات الصفات الذاتية لله مستلزم للتجسيم ، لأنهم بحسب القائلين بهذا الحكم يثبتون الجسم لله من حيث إثباتهم أن الله يحده العرش وأنه موجود في جهة

2 طه 5

3 كتب : على كونه فحسب جهة ، وما أثبتناه من ب .

4 الرحمن 78

5 الأعراف 180

6 صحيح البخاري 3/259 ، وصحيح مسلم 8/63

الاسم غير المسمى ، والجواب أنّ المراد مما ذكرتم ، وهو التسمية لا الاسم، وهي ما قام بالمسمى ، ولا شكّ أنها غير المسمى بالاتفاق ، فمعناها / التسمِّي ، فمعنى قولك :مـــا 6ب اسمك ؟ ما تسميتك[1] ، لأنك تريد السؤال عن التسمي ، بدليل ذكر لفظ[2] ما ، وأنه لغير العقلاء ، فلو استعمل بكلمة مَن ، فيقال : مَن محمد ؟ فالجواب أنا بالإضافة إلى الذات ، لا أنّ محمدا اسمي ، وأنّ المراد مما ذكرنا هو أنّ مفهوم اسم الشيء عين ذلك الشيء شرعا ، أو لغة ، إذا أُسند إليه الفعل ، أو تعلق به ، نحو : جاءني زيدٌ ، وضربت عمراً ، ونحو : زينب طالق ، والمبارك حر أو مدبر ، وأنّ الإسناد والتعليق ليس إلى اللفظ ؛ لاستحالة ذلك ، نعم ، قد يُطلق الاسم على مجرد اللفظ من غير اعتبار مفهومه ومسماه ، كما في قولك : ما اسمك ؟ فيقال : زيد ، ويُطلق ويُراد به الصفة كما في الآية والحديث ، وقد يُطلق ويُراد به التسمية ، كما سمعت تحقيقه ، ولا نزاع في ذلك كله .

قوله : لدى أهل البصيرة ، أراد به أهل الحق ، وهم أهل السنة والجماعة ، والبصيرة نور في القلب ، يدرك به الأشياء ، كما أنّ البصارة نور في البصر ، يدرك به المحسوسات ، والآل بمعنى الأهل ، لكنه يُستعمل في الأشراف ، والأهل اهم منه استعمالا ، وذكر خير آل للمدح .

وَمَا إِنْ جَوْهَرٌ رَبِّى وَجِسْمٌ   وَلاَ كُلٌّ وَبَعْضٌ ذُو اشْتِمالِ

ما بمعنى ليس ، وقعت بعدها إنْ الزائدة ، فأبطلت عملها ، فربي مبتدأ ، وجوهر خبره ، قُدِّم عليه ، وجسم عطف عليه ، ولا كل وبعض ، أيضا عطف عليه ، ولا زائدة للتأكيد بعد النفي ، وذو اشتمال صفة كلّ ، وفيه أربع مسائل :

الأولى : أنه تعالى ليس بجوهر، لأنه عبارة عن الجزء المتحيّز ، الذي لا ينقسم عند البعض ، والله تعالى منزّه عن التناهي والتحيّز ، وقيل : هو الموجود الغني عن الموضوع / وهو أنْ يصلح اطلاقه على الله تعالى ، لكنه يتوقف على إذن الشرع 7أ

والثانية : أنه تعالى ليس بجسم ، وهو مركب من الجوهرين عندنا[3] ، والجوهر الذي له أبعاد ثلاثة : طول ، وعرض ، وعُمق عند المعتزلة ، لأنه يلزم أنْ يكون مركبا ، فيحتاج إلى الجزء ، والمحتاج ممكن ، فيلزم أنْ لا يكون واجبا قديما ، هذا خلف .

والثالثة : أنه تعالى ليس بكل ، وإلاّ لكان له جزء ، فيلزم التركيب ، وهو على الله تعالى مُحال .

---

[1] في ب : ما سميتك .
[2] لفظ : زيادة من ب .
[3] كتب : وهو تركب الجوهرين عندنا ، وما أثبتناه من ب .

والرابعة: أنه تعالى ليس ببعض، إذ لو كان بعضا لكان جزءً للغير ، وهو إمَّــا صفة كمال ، فيلزم أنْ يكون الواجب مستكملا بغيره ، أو لا صفة كمال ، فيجب نفيه لنقصانه، وكماله تعالى بالذات .

قوله تعالى : ذو اشتمال ، إنما جاء به لرعاية الوزن ، وليس مسألة أخرى ، كما قيل: إنه بمعنى أنّ الله تعالى ليس بمشتمل على المكان والزمان ، وإلاّ لكان محدودا ، وهو مُحال لعدم العطف فيه .

وَفِي الْأَذْهَانِ حَقٌّ كَوْنُ جُزْءٍ بِلاَ وَصْفِ التَّجَزِّى يَا ابْنَ خالِي

أي في العقول ثابت وجود الجزء الذي لا يتجزأ ، وهو الجوهر الفرد .

اعلم أنّ المتكلمين ذهبوا إلى أنّ الجزء الذي لا يتجزأ موجود ؛ خلافا للمعتزلة والفلاسفة ، وعبّروا عنه بالنقطة، وهي شيء ذو وضع غير منقسم، فإنْ كانت مستقلة بذاتها كالجوهر ، فهي الجزء ، وإنْ لم تستقل بذاتها بل بالمحل كالعرض[1] كان محلها غير منقسم ، وإلاّ لانقسم الحالّ بانقسام المحل ، فيلزم عدم تناهي الأجزاء في جسم معيّن ، لأنّ الغرض إمكان انقسام كل جزء[2] ، وهو باطل ، لأنه يؤدي إلى أنْ تكون أجزاء الخردلة[3] ــ على تقدير انقسام كل جزء منها[4] ــ مساوية لأجزاء الجبل ، لأنّ كل واحد منهما لا يتناهى ، ولأنّ الاجتماع بين الأجزاء في الجسم الذي خلقه الله تعالى ، إنْ قالوا إنّ الله تعالى لم يقدر على خلق / الافتراق بينها ، بدلا عن الاجتماع ، فقد وصفوه بالعجز ، وإنْ قالوا إنه يقدر 7ب على ذلك ، فقد ثبت الجزء الذي لا يتجزأ ، وهو المطلوب .

وَمَا الْقُرْآنُ مَخْلُوقاً تَعَالَى كَلاَمُ الرَّبِّ عَنْ جِنْسِ المَقَالِ

أي ليس كلام الله تعالى حادثا ، أحدثه الله تعالى باللفظ المركب من الحروف والأصوات ، تنزّه كلام رب العالمين عن جنس ما يقوله الناس ، وهو المسموع بالحروف والأصوات ، اتّفق المتكلمون على أنّ الله تعالى مُتكلّم ، والقرآن كلامه ، واختلفوا في معنى كلامه ، قال أهل السنة والجماعة : كلام الله تعالى هو الكلام النفسي ، لا اللفظ المسموع من الحروف والأصوات ، والدليل عليه أنّ الكلام صفة كمال للحي ، وعدمه نقص ، فيجب اتّصافه به ، لأنه حيّ ، يصحّ اتّصافه به ، وإلاّ لاتصف بضده ، وهو نقص على الله تعالى ، ولأنّ جميع الأنبياء عليهم السلام اتّفقوا على أنه متكلم ، فلا يخلو مِن أنْ يُراد به الكلام النفسي ، أو الحسي ، فإنْ كان الأول ، يلزم قيام الكلام النفسي بذاته تعالى ، وهو المطلوب ؛ لئلا يلزم النقص عليه تعالى ، وإنْ كان الثاني ، يلزم حدوثه تعالى ، وهو محال ، لأنّ حدوث اللفظ

---

[1] بل بالمحل كالعرض : زيادة من ب .

[2] لأنّ الغرض إمكان انقسام كل جزء : زيادة من ب .

[3] الخردلة واحدة الخردل ، وهو حب شجر معروف ، يضرب به المثل في خفة الوزن .

[4] على تقدير انقسام كل جزء منها : زيادة من ب .

المركب من الحروف والأصوات عرض ، فهو إمَّـــا أنْ يكون قائما بذاته تعالى ، [سواء][1] كان ذاته محلا للحوادث ، أو بذات غيره ، فيلزم قيام وصف الشيء بغيره ، أو يكون قائما بنفسه ، فيلزم قيام العرض بنفسه، والكلّ مُحال .

وتمسك المعتزلة بقوله تعالى:﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ﴾[2]، والمسموع هو ألفاظ المركب من الحروف المسموعة ، فيكون مخلوقا ، ومعنى كونه متكلما ، كونه مُوجِدا لهذه الحروف ، والأصواتُ الدالة على المعاني المقصودة في أجسام / مخصوصة من مَلَك ، أو نبيٍّ 8أ أو حجر ، أو شجر .

قلنا : معناه حتى يسمع ما يدل على كلام الله ، الذي هو المعنى النفسي ، كما يُقال : سمعت على فلان[3] ، أي ما يدل على علمه ، واستدلوا بقولـــه تعالى أيضا : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[4] ، وصف القرآن بكونه عربيا ، والعربي لا يكون إلاّ باللفظ ، وهو حادث ، وجوابه أنْ يُقال : إنّ معناه : أنزلنا القرآن معبرا بالعربي للفهم ، والمراد من القرآن المقروء ، بقرينة قوله : كلام الرّب ، وهو فاعل ، تعالى ، أي ارتفع وعلا كلام الله تعالى أنْ يكون من جنس مقال الناس ، وهو القول بمعنى التّكلّم بكلام مركب من الحروف والأصوات .

وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لكِنْ بِلاَ وَصْفِ التَّمكُنِ وَاتِّصَالِ

قالت الكرامية والمشبهة : إنه تعالى متمكِّن على العرش ؛ لأنه جسم متصف بالصورة ، وقال بعضهم : إنه على العرش ، لا بمعنى التمكّن والاتصال ، ولكن بالاتصال بجهة ، وغرضهم إثبات الجهة له تعالى ، وتمسكوا بقوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[5]، فإنه يدل على أنه مستقر عليه ، لأنّ الاستواء بمعنى الاستقرار[6] : كما في قوله تعالى مُخبرا عن السفينة[7] : ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾[8] ، وهو اسم جبل في جزيرة ، بمعنى استقرّت ، وتمكنت ، وأجاب المصنف وغيره من أهل الحق بأن الاستواء كما يجيء بمعنى الاستقرار ، يجيء بمعنى الاستيلاء والاقتدار والإتمام ، فلا يكون حجة ، مع الاحتمال على أنّ العقل يمنع أن يكون هنا بمعنى الاستقرار على المكان ، بأنه لو كان على مكان العرش ، فلا يخلو مِن أنْ يكون بمقْداره ، أو أزيد ، أو أنقص ، والأولان مُحالان للزوم التجزؤ والتبعّض في ذاته تعالى ، وقد بيّنا استحالتة / وكذلك الثالث ، لأنه لو كان أصغر منه فإمَّـــا أنْ يكون 8 ب

---

[1] ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق .
[2] التوبة 6
[3] كتب : علم الفلان : وما أثبتناه من ب .
[4] يوسف 2
[5] طه 5
[6] في أ ، ب : الاستقراء ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .
[7] كتب : عن نفسه ، وما أثبتناه من ب .
[8] هود 44

بمقدارٍ من الجزء الذي لا يتجزأ ، وهو حقارة ونقص له ، تعالى علوا كبيرا ، أو يكون أكبر منه ، فيلزم التجزؤ أيضا ، فهو محال ، ولأنّ التّعرِّي عن المكان والجهة ثابت له في الأزل إجماعا ، فلو ثبت له التمكن والجهة بعد ذلك ، يلزم التغيير في ذاته تعالى ، فيصير ذاته تعالى محلا للحوادث ، وأنه محال ، فقول المصنف : ورب العرش ، جواب للخصم عن استدلاله بالآية ، بأنّ فوقية الله تعالى على العرش ثابتة ، لكن بوصف العلو والتولّي عليه ، لا بوصف التمكّن فوقه ، ووصف الاتصال به ، وإلاّ لزم التجزؤ والاحتياج إليه المستلزمان[1] للحدوث في ذاته تعالى ، وقد بيّنا استحالته ، ولأنّ المقام مقام المدح ، فلو كان المراد به ما ذكره الخصم ، يلزم انتفاء التمدّح ، وثبوت التذمم ، وهو لا يليق به تعالى .

وَمَا التَّشْبِيهُ لِلرَّحْمنِ وَجْهًا   فَصُنْ عَنْ ذَاكَ أَصْنَافَ الْأَهَالِي

قال أهل السنة والجماعة : إنه لا يشبه أحدا من الخلق ذاتا ، واستدلوا بالنقل والعقل ، أمَّا النقل فقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾[2] ، فإنه نفى مماثلته مطلقا ، وبالغ فيه ، بإيقاع النكرة في سياق النفي، وهو يفيد العموم ، ونفي المماثلة المطلقة تقتضي أنْ لا يكون شيء مثله ، لا بحسب الذات ، ولا بحسب الصفات ، لا يُقال الآية دلّت على نفي مثل المثل ، ونفي مثل المثل لا يقتضي نفي المثل ، فيجوز أنْ يثبت المثل على ذلك التقدير ، لأنَّا نقول : نفي مثل مثله يستلزم نفي مثله ؛ لسبب انتفاء المماثلة ، لكون المماثلة من الجانبين ، فإذا انتفى أحد المِثْلَيْن انتفى الآخر ، فيبقى الله تعالى بلا مثل بالضرورة ، وهو المطلوب ، وإذا قيل بزيادة / الكاف الذي بمعنى المثل ، فلا إشكال .

9أ وأمَّا العقل فلأنه يحكم بأن المماثلة لو ثبتت بينه وبين غيره لكان تميّزه عن غيره بمميز ، وهو إنْ كان ذاته لزم الترجيح بلا مرجح ، إذ التقدير استواء ذاته تعالى مع سائر الذوات ، وإنْ كان غير ذاته فإمَّا أن يكون أمرا مُلاقيا لذاته ، أي صفة له ، عاد الكلام إلى ذلك الملاقي بأنّ موجب تميّزه إنْ كان ذاته تعالى لزم الترجيح بلا مرجح ، وإنْ كان غيره فينتقل الكلام إليه مرة بعد أخرى ، ويلزم التسلسل ، أو كان الموجب أمرا مباينا عن ذاته تعالى ، كان الله تعالى محتاجا في هويته وامتيازه إلى سبب منفصل عنه ، فيكون ممكنا ، فقد ثبت أنه واجب الوجود بالذات ، فعلم من هذا الدليل أنّ المماثلة بين الله تعالى وغيره منتفية بالضرورة ، فأشار المصنف بقوله : وما التشبيه ، أي ليس التمثيل للرحمن ، أي الرزاق لكافة الخلق برحمته ، وجها ، أي طريقا عند العقل ، وهو خبر ما بمعنى ليس ، والفاء في فصن فاء الجزاء ، والشرط محذوف ، أي : إذا لم يكن له وجه ، فصن ، أي احفظ ، من الصون ، وهو الحفظ ، عن ذاك ، أي التشبيه ، أصناف الأهالي ، أي أنواع

---

[1] كتب : المستلزمتين ، وما أثبتناه من ب .
[2] الشورى 11

الأقوام ، بالدليل العقلي والنقلي ، كما ذكرناهما ، وهي جمع صنف ، والصنف نوع مقيّد بصفة كالزنجي ، والتركي ، والأهالي جمع أهــل ، كالأراضي جمع أرض ، واللام فيه عوض عن المضاف إليه ، أي أهالي الإسلام .

وَلاَ يَمْضِي عَلَى الدَّيَّانِ وَقْتٌ   وَأَحْوَالٌ وَأَزْمَانٌ بِحَالِ

أي لا يمر على الله تعالى المُجازي كل إنسان بعمله خيرا كان أو شرا وقت ، أي جزء من الزمان ، وهو مقدار حركة الفلك ، والأحوال / وهي الصفات الغير الراسخة في 9 ب الموصوف ، والأزمان ، أي دهر ، والزمان الطويل بحال ، أي لا بحال الحدوث ، ولا بحال القديم ، بمعنى أنّ الله تعالى منزّه عن تعاقب الأزمان والأحوال عليه ، لأنّ الزمان والحال ليسا بقديمين ، لقوله تعالى : ﴿خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾[1] ، فلو كان مُوجِدا لهما بعد خلقهما لتغيّر ذاته عما كان عليه ، وكل متغيّر حادث ، وقد ثبت أنه قديم ، فإنْ قلت : لا يجوز أنْ يكون له تعالى زمان ، لا كزمان المخلوقين ، فلا يلزم التغيير في ذاته ، قلت : لو كان له زمان ، فلا يخلو إمَّــا أنْ يكون ذلك الزمان قائما بذاته تعالى ، لكونه عرضا ، فيلزم أنْ يكون ذاته محلا للعرض ، وهو محال بالاتفاق ، أو كان قائما لغيره ، فلا يخلو إمَّــا أنْ يكون قديما ، فيلزم تعدد القديم ، وهو محال بالاتفاق ، وإنْ كان حادثا ، فيلزم أنْ يكون له زمان كزمان المخلوقات ، وهو محال ، وقد ثبت أنه تعــالى كان في الأزل ، ولم يكن له زمان ، وهو المطلوب .

وَمُسْتَغْنٍ إِلـهِي عَنْ نِسَاءٍ   وَأَوْلَادٍ إِنَاثٍ أَوْ رِجَالِ

قالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى : عيسى ابن الله ، وقال بنو مليح[2] : الملائكة بنات الله ، وهذه الأقوال كلها باطلة بالنقل والعقل ، أمَّــا بطلانها بالنقل فقــوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾[5] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[6]، وقوله تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾[7] أي الآنفين والجاحدين، بدليل قولــه تعــالى :﴿سُبْحَانَ رَبِّ / السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ 10أ الْعَرْشِ عَمَّا

---

[1] الأنبياء 33

[2] جاء في تفسير القرطبي : وفي التفاسير : أن حيا يقال لهم بنو مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن ، ويزعمون أن الجن تتراءى لهم ، وأنهم ملائكة ، وأنهم بنات الله ; وهو قوله : وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا.

[3] التوبة 30 .

[4] الحل 57 .

[5] الأنبياء 26 .

[6] مريم 92 .

[7] الزخرف 81 .

يَصِفُونَ ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[2] ، فهذه كلها أدلة على استحالة الولد له تعالى ، وأمَّا بطلانها بالعقل ، فلأنه لو كان له ولد ، لكان له جزء ، إذ الولد جزء من الأب ، والتجزئة على الله تعالى محال ، كما مرّ ، ولأنه تعالى لا يحتاج إلى النساء بالشهوة ، إذ الاشتهاء إليهن مُحال على الله تعالى ، لأنه من إمارات الحدوث ،

قوله : مُستغن ، خبر المبتدأ ، وهو إلهي ، قوله : إناث ، بدل من أولاد ، وأو في : أو رجال بمعنى الواو ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[3] .

كَذَا عَنْ كُلِّ ذِي عَوْنٍ وَنَصْرٍ   تَفَرَّدَ ذُو الجَلَالِ وَذُو المَعَالِي

أي أنه تعالى كما يستغني عن النساء والأولاد ، يستغني عن المُعين في الألوهية ، والناصر؛ لدفع أعدائه ، وليس له شريك في خلقه ، بل هو متفرد بالخلق بلا شركة أحد فيه ، لأنّ قدرته فوق كل قدرة ، لأنها نشأت من قدرته ، فلا يحتاج إلى قدرة أحد في فعله .

قوله : كذا ، يتعلق بمُستغن المحذوف بعده ، وقوله : تفرّد ، من قولهم : تفرّد بالأمر : إذا أصلحه من غير معاونة ، وذو الجلال ، بمعنى صاحب الصفات السلبية ، وذو المعالي ، صاحب الصفات الثبوتية ، فإنّ مَن كان صاحب هذه الصفات ، لا يحتاج إلى معين .

يُمِيتُ الخَلْقَ قَهْرًا ثُمَّ يُحْيِي   فَيَجْزِيهِمْ عَلَى وِفْقِ الْخِصَالِ

يميت الخلائق كلها على سبيل القهر والغلبة كالإنس والجن والملائكة والوحوش والطيور ، وغير ذلك من الحيوانات ، ثم يحيى الأموات كلها للجزاء يوم القيامة ، لقوله تعالى :10ب ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[4] ثم إليه ترجعون[5] ، وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[6]، وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾[7] ، والمراد من البعث بعث الأجساد مع أرواحها ، لقوله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾[8] ، فيجزيهم على وفق خِصالهم من الحسنات والسيئات ، لقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[9] ، يقال : لفلان خصلة حسنة ، أو سيئة ، إذا كان حسن الخلق ، أو سيئه ، فهي مستعملة في الأفعال الغريزية .

---

[1] الزخرف 82
[2] الإخلاص 3 - 4
[3] الإنسان 24 .
[4] الروم 40
[5] جعل الشارح (ثم إليه ترجعون) من جملة الآية ، وليس الأمر كذلك .
[6] الحج 7
[7] التكوير 5
[8] الأنبياء 104
[9] الزلزلة 7-8 .

ويمكن أن يُستدل على البعث والجزاء بالعقل أيضا ، لأنّ المعاد ممكن في نفسه كالمبدأ ، والصادق أخبر عن وقوعه ، فوجب القول به ، ولأنّ الظلم يقع في الدنيا كثيرا ، ويموت المظلوم مظلوما ، فلو لم يكن البعث والجزاء لوصف الله تعالى بالظلم ، وهو محال ، وهذا يدل قطعا على قيام الساعة .

لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَّاتٌ وَنُعْمَى   وَلِلْكُفَّارِ أَدْرَاكُ النَّكَالِ

هذا تفصيل لما أجمله المصنف في البيت السابق بقوله : على وفق الخِصال ، أي الله تعالى يُثيب أهل الخير يوم القيامة ، وهم المؤمنون ، الذين فعلوا الخيرات في الدنيا ، من الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة جنات ونعمة كثيرة ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ الأية[1] ، ويعطي الكفار أيضا على وفق عملهم من السيئات في الدنيا دركات العقبات[2] في النار يوم القيامة ، لقوله تعالى : / ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا 11أ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[3] ، وقوله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[4]، وإذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، يُنادي منادٍ : يا أهل الجنة ! خلود ولا موت ، ويا أهل النار ! خلود ولا موت .

قوله : لأهل الخير ، خبر المبتدأ ، وهو جنات نعمى ، عطف عليه ، وهو مصدر بمعنى التنعم ، كالبُشرى والرُّجعى ، بمعنى البِشارة والرجوع ، وكذا الإعراب في المصراع الثاني ، والأدراك بالفتح جمع دَرك [5]، وهو حفرة من حُفر النيران ، وقيل : أخفض مكان منها ، ويجوز في الراء الفتح والسكون ، والنكال مصدر بمعنى العقوبة، والإضافة بمعنى اللام، ويُروى الإدراك بكسر الهمزة مصدر ، وهو خطأ ؛ لقوله جنات .

وَلا يَفْنَى الجَحِيمُ وَلاَ الْجِنَانُ   وَمَا أَهْلُوهُما أَهْلَ انْتِقَالِ

---

[1] الحج 23 ، والآية بتمامها : [إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ] .

[2] في ب : العقوبة .

[3] التغابن 10

[4] النساء 145

[5] جاء في لسان العرب (درك) : الدَّرْكُ والدَّرَكُ: أَقصى قَعْر الشيء، زاد التهذيب: كالبحر ونحوه. شمر: الدَّرَكُ أَسفل كل شيء ذي عُمْق كالرَّكيَّة ونحوها. وقال أَبو عدنان: يقال أَدْرَكوا ماء الرَّكيّة إِدراكاً، ودَرَك الرَّكِيَّة قعرها الذي أُدرك فيه الماء، والدَّرَكُ الأَسفل في جهنم، نعوذ بالله منها:أَقصى قعرها، والجمع أَدْرَاك. ودَرَكاتُ النار: منازل أَهلها، والنار دَرَكاتوالجنة درجات، والقعر الآخر دَرْك ودَرَك، والدَّرَك إِلى أَسفل والدَّرَجُ إِلى فوق، وفي الحديث ذكر الدَّرَك الأَسفل من النار، بالتحريك والتسكين، وهو واحد الأَدْراك وهي منازل في النار، نعوذ بالله منها. التهذيب:والدَّرَكُ واحد من أَدْرَاك جهنم من السبع، والدَّرْكُ لغة في الدَّرَك. الفراء في قوله تعالى: إن المنافقين في الدَّرْك الأَسفل من النار، يقال: أَسفل دَرَج النار. ابن الأَعرابي: الدَّرْك الطَّبَقُ من أَطباق جهنم، وروي عن ابن مسعود أَنه قال: الدَّرْكُ الأَسفل توابيتُ من حديد تصَفَّدُ عليهم في أَسفل النار؛ قال أَبو عبيدة: جهنم دَرَكاتٌ أَيمنازل وأَطباق، وقال غيره: الدَّرَجات منازل ومَرَاقٍ بعضها فوق بعض، فالدَّرَكات ضد الدَّرَجات.

قال أهل السنة والجماعة : لا فناء لجهنم ونارها ، ولا للجنة ونعيمها ؛ خلافا للجهم بن صفوان[1] ومن تابعه ، فإنهم يقولون بفنائهما ، وكذا لا يفنى أهل جهنم ، ولا يُنقلون عنها إلى مكان آخر، وكذا لا يفنى أهل الجنة ، ولا يُنقلون عنها إلى مكان آخر بعد الدخول فيها ، خلافا للجهمية .

قلنا : قوله تعـالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾[3] ، أي لا يطلبون تحويلا عن الجنة ، لأنهم لا يرون فيها إلاّ ما يرغبهم في سكناها ، فلا ينتقلون ، وهـذا يدل على التخليد فيهـا ، وكـذا لا يدل على عدم / فنائهما ، وفناء أهلهما قول رسول الله عليه الصلاة والسلام في **11 ب** الخبر المشهور : [نادى منادٍ بين الجنة والنار يا أهْلِ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ وَ يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ][4] . و(ما) في ، ما أهلوهما بمعنى ليس ، وأهل منصوب على أنه خبرها .

يَرَاهُ المُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ وَإِدْرَاكٍ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ

قال أهل السنة والجماعة : إنّ الله تعالى يصح عقلا أنْ يكون مرئيا للمؤمنين في الآخرة ، بغير كيف ، أي من غير اتصال إشعاع خارج عن عين الرائي إلى المرئي ، ولا ثبوت مسافة بين الرائي والمرئي ، ولا في جهة ، ولا في مكان ، ولا في غيره من إمارات الحدوث ، كحصول مواجهة وارتسام صورة المرئي في العين ، خلافا للمعتزلة في نفس الرؤية ، وخلافا للمشبهة[5] ، والكرامية في لواحقها ، فإنهم جوّزوا رؤية الله تعالى] لاعتقادهم كونه

---

[1] قال الذهبي في سير أعلام النبلاء 6/26- 27 : هو الجهم بن صفوان السمرقندي.الكاتب المتكلم, رأس الضلالة, ورأس الجهمية,كان صاحب ذكاء وجدال,كتب للأميرحارث بن شريح التميمي, وكان ينكر الصفات وينزه الباري عنها بزعمه, ويقول بخلق القرآن.

وجاء في شرح الطحاوية لأبن أبي العز ، ص 523 : وكان الجهم هذاقد ترك الصلاة أربعين يوما" شكا" في ربه,وكان ذالك لمناظرته قوما" من المشركين,يقال لهم السمنية من فلاسفة الهند الذين ينكرون من العلم ما سوى الحسيات. فقد قالوا له: يا جهم هذا ربك الذي تعبده هل يُرى او يشم او يذاق او يلمس؟ فقال:لا..فقالوا هو معدوم. فبقي أربعين يوما" لا يعبد شيئا", ثم لما خلا قلبه من معبود يؤلهه نقش الشيطان اعتقادا" نحته...فقال: انه الوجود المطلق ونفى جميع الصفات .

ويقول ابن كثير في البداية والنهاية 9/351 ، 10/643: ثم ما لبث جهم حتى قتله سلم بن أحوذ أمير خرسان بمقالته هذة سنة ثمان وعشرين ومائة.وقد أخذ مقالته هذة عنة بشر بن غياث المريسي ابو عبد الرحمن شيخ المعتزلة ، وهو أحد من أضل المأمون ، واليه تنسب المريسية من المرجئة.

[2] البينة 6 . جعل الشارح في آخر الآية لفظ : أبدا ، وليس كذلك .

[3] الكهف 107 - 108

[4] جاء في البخاري 8/141 بلفظ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُقَالُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ وَلأَهْلِ النَّارِ يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ.

[5] المشبهة : هي طائفة من الطوائف الإسلامية التي شبهت الله بخلقه، ووصفته بأنه يشبه المخلوقات، وأنه جثة وزعم بعضهم أن صورته على صورة خلق الإنسان،،له شعر ولحم ودم وجوارح. أول من قال بالتشبيه هم البيانية، وهي فرقةمن غلاة الروافض، وأول من نشر التشبيه في الأمة هو هشام بن الحكم الشيعي والمشبهة فريقان: فريق يشبه ذات الله بذات المخلوقين؛ كالهشامية والسبئية، وفريق يشبه صفات الله بصفات المخلوقين، . مثل معتزلة البصرة، بل كل المؤولة أو المعطلة هم في الأصل مشبهة. ومن فرق المشبهة: المغيرية، والكرامية.

في جهة وفي مكان وصورة ، وأشار إلى مذهب المشبهة والكرامية بقوله : وضربٍ من مثال ، أي ولا نوع من الصورة ، وجه تمسك المعتزلة في نفس الرؤية بقوله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[1] هو أنه يدل على عدم جواز رؤية الله تعالى][2] لأنّ الإدراك بالبصر هو الرؤية ، والمقام مقام تمدّح بانتفاء الرؤية عن ذاته ، وكل ما كان انتفاؤه مدحا ، كان وجوده نقصا ، فوجب أنْ يكون غير مرئي ، وتقرير الجواب أنْ يُقال : إنّ الآية دلتْ على نفي الإدراك ، ونفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية ، يعني نفي الإدراك الذي بمعنى رؤية الشيء من جميع الجوانب ، لا يستلزم نفي الرؤية مطلقا ، لأنّ الإدراك مشروط بارتسام المرئي في العين ، وخروج الشعاع عنها إلى المرئي ، وليس هذا شرطا في الرؤية ، ولأنّ نفي إدراك ما يستحيل رؤيته ، لا تمدُّح فيه ، إذ كل عاقل يعلم أنّ كلّ ما لا يُرى لا يُدرك ، وإنما التمدّح بنفي الإدراك مع ثبوت الرؤية ، لأنّ انتفاء الإدراك مع ثبوت الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهي والحدود اللازمين للإدراك / عن ذات الله تعالى ، فبذلك ثبت **12 أ** التمدّح ، وتمسك أهل السنة والجماعة بالنقل والعقل .

أمَّـــا النقل فقوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3] ، والنظر إمَّـــا عبارة عن الرؤية ، فهو المطلوب ، أو عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي ، طلب الرؤية ، فيتعذر حمله على ظاهره ؛ لاستحالة المقابلة بين الرائي وبينه تعالى ، فيُحمل على الرؤية التي هي كسب النظر بالمعنى الثاني ، وإطلاق السبب ، وإرادة المسبب من أحسن وجوه المجاز ، ولا يجوز أنْ يُحمل إلاّ على واحد الآلآء[4] ، والنظر على الانتظار ، فيكون المعنى نعمة ربها منتظرة ، لأنّ الانتظار سبب النعم ، وسيقت الآية لبيان النعم في دار السرور ، وقوله عليه السلام : [سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ][5] أي كما لا تشكُّون في رؤية القمر ليلة البدر ، ولا تشكّون في رؤية الله تعالى عيانا في الآخرة ، وقول موسى عليه السلام ، حين سأل ربّه الرؤية ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[6] ، مع أنه عرف الله تعالى حق معرفته ؛ منزها عن الشبيه والجهة والمقابلة ، واعتقد مع ذلك أنه يُرى ، حتى سأله أنْ يريه[7] ، فمن زعم استحالة رؤية الله تعالى ، فقد ادّعى معرفة ما جهله موسى عليه السلام من صفات الله تعالى ، وهذا باطل ، ولأنّ الله تعالى علّق رؤيته باستقرار الجبل ،

---

[1] الأنعام 103
[2] ما بين الحاصرتين زيادة من ب .
[3] القيامة 22 - 23
[4] الآلاء : النِّعَم ، ومفردها ألى ، أو إلى .
[5] ورد هذا الحديث في صحيح البخاري 156أ9 بلفظ : عن جَرِيرٌ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ.
[6] الأعراف 143
[7] في ب : يراه .

وهو ممكن عقلا ، والتعليق بالممكن دال على إمكانه ، وأخبر أيضا أنه تجلّى للجبل ، وهو عبارة عن خلق الحياة والعِلم ، والرؤية في الجبل نص عليه الشيخ الإمام أبو منصور [1] ، فيدل على جواز الرؤية ، ولا يُنافيها قوله تعالى : ﴿لَنْ تَرَانِي ﴾ [2] بأنه يقتضي النفي على التأبيد ، لأنّ ﴿لَنْ تَرَانِي ﴾ يقتضي نفي الوجوب [3] ، لا نفي الجواز ، بدليل الاستدراك بعده ، فلا / يقع التعارض ، أو نقول : لأنّ كلمة لن ليست للتأبيد ، بل هي للتأكيد فحسب ، 12 ب بدليل قوله تعالى خبرا عن مريم : ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [4] قرنها باليوم ، والتأبيد مع التوقيت يتنافيان ، ولئن سلّمنا أنها للتأبيد لكن المراد منها النفي في دار الدنيا ، لا في دار الآخرة ، لأنّ السؤال في الدنيا ، فينصرف النفي إليها .

وأمَّـــا العقل ، فهو أنّ الوجود في الشاهد علة لصحة الرؤية ، فيجب أنْ يكون في الغائب كذلك ، لأنّ الرؤية تتعلق بالجسم والجوهر والعرض ، يعني يكون كلٌّ منها مرئيا ، فتكون الرؤية بينها مشتركة ، والحكم المشترك يقتضي علة مشتركة ، وإلاّ لزم توارد العلل على معلول واحد ، وهو ممتنع ، والعلة المشتركة بين الجسم والجوهر والعرض إمَّـــا الوجود، أوالحدوث ، والحدوث ساقط عن العليّة ، لأنه عبارة عن وجود لاحق ، وعدم سابق ، والعدم لا يصلح أنْ يكون علة ، ولا شرطا لعلة ، فلم يبق للعليّة بالاشتراك إلاّ الوجود ، وهو مشترك بين الله وغيره ، فيصح رؤيته ، وهو المطلوب ، وما لا يُرى من الموجودات كالمَلَك والجن والروح ، ولعدم أجراء الله تعالى العادة في رؤيتنا إياها ، لا لاستحالة الرؤية ، وإلاّ لما جاز أنْ يرى النبي جبريل ،والمكاشف الروح أو المَلَك ، ولا المصروع الجن ، فثبت أنّ الوجود علة مُجوّزة للرؤية [5] لا موجبة لها ، فحينئذ يجوز أن تكون علة في الغائب بالقياس على الشاهد ، فيكون الله تعالى الذي هو الغائب جائز الرؤية في الآخرة ، وهو المطلوب .

فَيَنْسَوْنَ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ   فَيَا خُسْرَانَ أَهْلِ الْاِعْتِزَالِ

/ قوله : فينسون ، عطف على قوله : يراه المؤمنون ، أي عقيب رؤيتهم الله تعالى 13 أ في الجنة ، فينسون النعيم ، أي التنعم ، الذي رزقهم الله تعالى إياه فيها من أنواع النعم ، لأنّ النظر إلى لقائه الكريم أعظم من كل نعمة فيها ، ويجوز المراد منه الجنة المخصوصة

---

[1] أبو منصور الماتريدي من علماء أهل السنة والجماعة، وإمام المدرسة الماتردية ، التي يتبعها غالبية أتباع المذهب الحنفي في العقيدة ، اشتهر الماتريدي بهذا الاسم نسبة إلى قرية ماتريد التابعة لسمرقند، ببلاد ماوراء النهر ، وهو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، وكان الإمام الماتريدي والإمام أبو الحسن الأشعري الإمامين الجليلين الذين حررا عقيدة الاشاعرة والماتريدية بالأدلة النقلية والعقلية، وقد لقب الماتريدي بـ"إمام الهدى" و"إمام المتكلمين" وغيره من الألقاب وهي ألقاب تظهر مكانته في نفوس مسلمي عصره ومؤرخيه. ورغم ذيوع اسمه واشتهاره واشتهار فرقة الماتريدية المنسوبة إليه فقد كان المؤرخون الذين كتبوا عنه قلة .

[2] الأعراف **143**

[3] أي : لا يجب الرؤيا في الدنيا / الحاشية .

[4] مريم **26**

[5] للرؤية : زيادة من ب .

لكل مؤمن ، قوله : فيا خسران أهل الاعتزال ، بالنصب والإضافة إلى أهل المُنادى ، أي يا خسرانهم على انفسهم ، احضري فهذا وقتك ، أو المنادى محذوف ، وينصب خسران على أنه مفعول فعل محذوف ، أي يا قوم أحضِروا خسرانهم ، ولا يجوز أنْ يُقرأ : فيا خسران لأهل الاعتزال بالرفع ، ولا بالجر ؛ لفساد النظم ، وإنما دُعي الخسران ، وهو المصدر ؛ تنبيها للسامعين من معتقدي الرؤية ، أنّ لأهل الاعتزال خسرانا عظيما لصيرورتهم محرومين ؛ لفساد عقيدتهم عن أعظم ما أنعم الله تعالى بفضله على أهل الجنة ، نعوذ بالله من حرمان ذلك ، والله أعلم بالصواب .

وَمَا إِنْ فِعْلُ أَصْلَحُ ذُو افْتِرَاضٍ عَلَى الْهَادِي المُقَدَّسِ ذِي التَّعَالِي

قال أهل السنة والجماعة : إنّ الفعل الأصلح لا يجب على الله تعالى ؛ رعايةً لعباده ، لأنّ الألوهية تنافي الوجوب عليه، بل له أن يفعل لعبيده ما شاء ، إلاّ أنه خصّ المؤمنين بلطف ، لو فعل ذلك مع جميع الكفار لآمنوا ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[1] ، وقال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾[2] ، فلو منع لطفه عن بعض عباده كان ذلك عدلا منه ، وقهرا ، فهو محمود في عدله وقهره ، كما هو محمود في فضله وكرمه ، وإنما قلنا إنّ الوجوب عليه يُنافي الألوهية / لأنّ الوجوب عليه حكم من 13ب الأحكام ، ولا يثبت الحكم بدون الحاكم ، ولا حاكم عليه تعالى ، فلا وجوب عليه أيضا ، ولأنّ القول بوجوب الأصلح عليه ، يوجب إبطال مِنَّته على عباده في الهداية لهم ، في الصحة والرزق ، لأنّ مَنْ أدّى حقاً واجبا عليه لا مِنَّةَ له على المؤدى عليه ، وهو باطل لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية[3] ، وقوله : ﴿ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[4] .

وقالت المعتزلة : رعاية الأصلح لعباده واجبة عليه تعالى، وإلاّ لثبت منه الظلم على العباد ، وهو منزه عن ذلك ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[5] ، وقد سمعت ما قلنا في جوابهم .

وقوله : وما ، نفي ، وإن زائدة بعدها للتأكيد ، وفعل أصلح : صفة وموصوف مبتدأ ، وذو افتراض خبره ، بمعنى صاحب فرض ، وهو الوجوب ، والهادي ، وصف الله ، أي الراشد

---

[1] يونس 99

[2] الأنعام 35

[3] آل عمران 164 ، وقد وضع الشارح بدلا من قوله تعالى : (من أنفسهم) كلمة منهم ، والآية بتمامها : [لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] .

[4] الحجرات 17

[5] فصلت 46

إلى طريق الحق ، والمقدس بمعنى المنزه عما لا يليق به ، وذي التعالي وصف آخر بمعنى المتعالي ، وهو البليغ في مرتبة العلو بالذات .

وَفَرْضٌ لاَزِمٌ تَصْدِيقُ رُسْلٍ   وَأَمْلاَكٍ كِرَامٍ بِالتَّوَالِي

قال أهل الحق : إرسال الرسل من الله تعالى ممكن ، لأنّ صدور الأمر والنهي منه تعالى على عباده ، والإخبار لهم عما فيه صلاح داريهم : الدنيا والآخرة ، مما قصرت عقولهم عن معرفته ، غير مستحيل ، وإنه حكمة وحسن[1] ، ولا يبعد أنْ يخص الله بعض عباده بعلم ذلك بإلهام صحيح ، أو بوحي صريح ، فيخبر عباده بأمره تعالى ، وحينئذ يجعل له علامة/**14أ** تدل على صدق أخبار ذلك البعض ، وهي المعجزة ، وإذا كان الشأن كذلك ، يجب تصديق ذلك الرسول ، وإلاّ لكفروا به تعالى ، وقال الخوارج[2] : يجب قبول قول مدَّعي الرسالة بدون إقامة المعجزة ، وهو باطل ؛ لأنه يلزم الاشتباه بين النبي والمتنبي ، وقالت السمنية[3] والبراهمة[4] : إرسال الرسل محال ، لأنّ الرسول لو أتى بما يقتضيه العقل ، ففي العقل غنية عنه ، ولو أتى بخلاف مقتضى العقل ، فالعقل يرده ويحيله ، قلنا : يأتي الرسول بما يقصر العقل عن دركه ، إذ قضايا العقل ثلاثة أقسام : واجب ، وممتنع ، وجائز ، والعقل يحكم بالواجب والممتنع ، ولكن يتوقف في الجائز، لا يحكم فيه بالنفي أوالإثبات ، ولا يُحلّ ، ولا يُحرّم ، ولا يوجب ، ولا يستكره ، إلاّ بعد أنْ يقف على أنّ ذلك الجائز مما يتعلق به عاقبة حميدة أو ذميمة ، وذلك لا يحصل إلاّ ببيان الرسول ، لأنه الواقف من الله تعالى على عواقب الأمور ، فلا نسلِّم حينئذ أنّ في العقل غنية عن إتيان الرسول ، ويجوز أنْ يكون[5] إتيانه تيسيرا للأمر على العاقل[6] ، كما قيل ، لئلا يتعطل أكثر مصالحه بملازمة التفكر والبحث

---

[1] في ب : وإنه حكم حسن .

[2] وهم الذين خرجوا على الإمام علي عليه السلام في معركة صفين بعد قبول التحكيم ، واشتهروا بتكفيره ، وتكفير كل من معاوية والحكمين عمرو بن العاص وأبي موساالأشعري وكل من رضي بالتحكيم ، وكذلك يكفرون أصحاب الجمل وعائشة وطلحة والزبير ، بالإضافة إلى تكفيرهم لكل مسلم يرتكب كبيرة ، وحكمهم عليه بالخلود في النار .

[3] فرقة بالهند دهرية تقول بالتناسخ و تنكر وقوع العلم بالأخبار زاعمين أن لا طريق للعلم سوى الحس قيل هي نسبة إلى (سومنات) بلدة بالهند .

[4] البراهمة :هم فئة من الهنود ينكرون النبوات اصلا ، ويقولون بحدوث العالم ,وتوحيد الصانع,وجعلو للعقل المكان الاول الذي من خلاله يعرف الله ويعبد لا عن طريق رسول ، وقد افترقو ا طرقا شتى منهم :اصحاب البدوه/ اصحاب الفكر / اصحاب التناسخ، ويقولون مافي الوجود شيئ الا هو مخلوق لله كما ان لهم كتب مقدسه ((الفيدا)) ((اليورانا)) الذي يمثل الديانه مختلطه بالتثليث براهما : الاله الخالق، فيشنو : و هو الاله الحافظ، ، سيفا : وهو الاله الملاشي او المدمر ، ويقوم هذا الدين على اصلين رئيسين هما وحدة الوجود و التناسخ الذي يقوم على انتقال النفس من جسد الى آخر في هذا العالم ويكون الانتقال خير او شرير حسب الاعمال السابقه ان خير فخير وان شر فشر.

[5] أن يكون : زيادة من ب .

[6] في ب : العقل

الكامل ، في إدراك المقصود من الله تعالى ، فيكون التنبيه منه على ذلك بواسطة الرسول ؛ فضلا ورحمة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[1] .

قوله : لازم ، صفة فرض ، قيّده به ؛ ليدل على أنّ المراد بالفرض فرض عين ، لا فرض كفاية ، والصفة والموصوف مبتدأ ، خبره تصديق رسل ، والمراد بها جميع الرسل من غير تعيين العدد ، لأنّ تصديق البعض دون البعض تكذيب للجميع ، وكفر بهم ، لقوله تعالى في مقام الذم والتوبيخ :﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ / بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا 14 ب بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾[2] ، وأملاك بالجر ، عطف على رسل ، أي واجب تصديق الملائكة ، وهم الكرام الكاتبون ، ويُسمَّون حفظة ؛ لأنهم يحفظون أعمال العباد بالكتابة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[3] ، قيل : لكل إنسان ملكان بالليل ، وملكان بالنهار ، يكتب أحدهما الخير، والآخر الشر ، قوله : بالتوالي ، إشار إليه وهو في موضع النصب على الحال منهم ، جائين بالتعاقب ، وليس متعلقا بالتصديق ؛ لفساد المعنى ، إذ التصديق يكفي مرة واحدة .

وَخَتْمُ الرُّسْلِ بِالصَّدْرِ المُعَلَّى   نَبِيٌّ هَاشِمِيٌّ ذُو جَمَالِ

أي الله تعالى ختم الأنبياء بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، الذي هو المختار المفضّل على جميعهم ، وختم الرسل مبتدأ ، وبالصدر خبره ، وصدر الشيء خياره ، ونبيّ بدل من الصدر ، وليس عطف بيان ، لعدم الإيضاح في نفسه ، والنبيّ في اللغة الطريق ، ومنه يُقال للرسل عن الله تعالى أنبياء ، لكونهم طرق الهداية إليه تعالى ، وقيل : هو فعيل بمعنى مفعول ، إنْ كان من النَبْوَة ، وهي ما ارتفع من الأرض ، وحينئذ يكون معناه : الذي شرُف على سائر الخلائق ، فأصله غير الهمزة ، أو بمعنى فاعل ، إنْ كان من النبأ[4] ، الذي هو الخبر ، فأصله همزة ، إلاّ أنهم تركوها في النبي ، كما تركوها في في الذريّة ، فجمعه على الأول أنبياء ، وعلى الثاني نُبَاءُ ، يقال : يا خاتم النُّباء ، على وزن الفُعال ، وهاشمي ، صفة نبي منسوب إلى قبيلة هاشم بن عبد مناف[5] ، من آل عدنان ، وذي جمال ، صفة بعد صفة ، والمراد به صاحب الأخلاق الجميلة الكاملة .

---

[1] الأنبياء 107

[2] النساء 150

[3] الانفطار 10 - 12

[4] جاء في معجم الصحاح (نبا) : النَّبَأُ: الخبر، تقول نَبَأَ ونَبَّأَ، أي أخبر، ومنه أخذ النَّبِيءُ لأنه أنْبَأَ عن الله تعالى، وهو فَعِيلٌ، بمعنى فاعلٍ. وتصغير النَبيءِ نُبَيِّئٌ مثل نُبَيِّعٍ، وتصغير النُبُوءَةِ نُبَيِّئَةٌ. وجمع النبيِّ نُبَآءُ. قال الشاعر:

يا خاتمَ النُبَآءِ إنَّكَ مُرْسَلٌ   بالخير كلُّ هُدى السَّبيلِ هُداكا

ويجمع أيضاً على أنْبياءَ.

[5] كتب : هاشم بن عبد الله بن مناف : وما أثبتناه من ب .

واعلم أنّ أول الأنبياء آدم عليه السلام ، لقوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ / مِنْ نَفْسٍ 15 أ وَاحِدَةٍ﴾[1] ، وهي آدم عليه السلام ، ويدل على نبوته قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[2] ، أي جعله نبيا ، وآخرهم محمد عليه السلام ، لقوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[3] ، وقوله عليه السلام : [لاَ نَبِيَّ بَعْدِي][4] ، ولا يمكن الاستدلال بالعقل على أنه خاتم الأنبياء ، لتجويز العقل إرسال الله رسولا آخر بعده ، مع الكتاب المنزل من عنده سوى القرآن ، وإلاّ لكان محلا بعجز الله عن ذلك ، وهو محال ، فالدليل عليه سمعي ، لا عقلي ، فمن استدل عليه بعقله ، فقد أسند العجز إليه ، تعالى عنه علوا كبيرا ، ولم يعيّن عدد الأنبياء ، لعدم ورود النص الصريح ، والخبر الصحيح في تعيينه ، ولا مدخل للعقل فيه

إِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ بِلاَ اخْتِلاَفٍ وَتَاجِ الْأَصْفِيَاءِ بِلاَ اخْتِلاَلِ

قوله : إمام الأنبياء بالجر ، صفة أخرى للنبي ، إشارة إلى أنّ نبينا مقتدى جميع الأنبياء ، إمَّـا باعتبار الآخرة ، أو باعتبار إمامته لهم ليلة المعراج ، حين أحياهم الله تعالى ؛ لإقامة الصلاة خلفه ركعتين في بيت المقدس ، قبل عروجه إلى السماء ، أو المعنى أفضلهم بتفضيل الله ، لا بتفضيل الأعمال ، كما هو مذهب المعتزلة ، حتى قالوا بتفضيل المَلَك على الإنس مطلقا بأعمالهم ، وليس الأمر كذلك ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾[5] ، وقوله : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[6] ، فإنّ إضافة التفضيل إلى ذاته تعالى ، لا إلى نفس العمل ، ولأنّ الله تعالى قال في أُمته : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[7] ، فلمَّـا كانت أُمته خير الأمم ، دلّ ذلك على أنه خير الأنبياء ، إذ شرف كل أُمة بشرف نبيهم ، ولا يمكن الاستدلال هنا أيضا بالعقل ، لما ذكرنا .

قوله : وتاج الأصفياء ، أي ورئيس الأولياء أيضا ، لأنّ كل ولي / دون النبي ، لأنّ 15 ب بناء النبوة على الولاية ، فهي جزء النبوة ، والجزء دون الكل ، والأصفياء جمع صفي ، وهو المُتزكي عن الصفات الذميمة ، والمُنزه عن الكدرات النفسانية .

وَبَاقٍ شَرْعُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَارْتِحَالِ

هذه إشارة إلى أنّ شريعة محمد عليه السلام لا تُنسخ ، كما نُسخت شرائع جميع الأنبياء بشرعه ، بل هو باقٍ إلى يوم القيامة ، لثبوت كونه خاتم النبيين بالنص الصريح ، ولأنه ضبط أحوال الخلق وأحكامهم بالوحي والإلهام ، على سبيل الإجمال والتفصيل ، بحيث يكتفي

[1] النساء 1 ، والأعراف 189
[2] طه 122
[3] الأحزاب 40
[4] صحيح البخاري 4/206 ، وصحيح مسلم 7/119
[5] الإسراء 55
[6] البقرة 253
[7] آل عمران 110

علماء أمته في بيان الأحكام المبهمة بالأصول الأربعة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ، لأنهم أعلمُ وأعقل من علماء سائر الأمم ، ولذا قال في مدحهم : [علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل] [1] ، قوله : باقٍ : خبر المبتدأ ، وهو شرعه ، وارتحال : عطف على يوم ، عطف تفسير ، أي إلى ارتحال جميع الخلق عن الدنيا إلى الآخرة ، وهو أول القيامة ، لقوله عليه السلام : [الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ][2] .

وَحَقٌ أَمْرُ مِعْرَاجٍ وَصِدْقٌ　　　　فَفِيهِ نَصٌ أَخْبَارٍ عَوَالِ

أي ثابت محقق خبر معراج النبي عليه السلام ، ومطابق للواقع ، لأنّ فيه نصّ أخبار عالية من التواتر والمشهور ، والنص بمعنى التصريح ، والفاء في قوله : ففيه للسبب ، وضميرها يرجع إلى ألأمر ، والعوال جمع عالية ، أي منزهة من الرد والطعن .

واعلم أنّ العلماء اختلفوا في أنّ المعراج في المنام ، أو في اليقظة ، وقبل الوحي أو بعده ، وبالجسم أم بالروح ، وقال المحققون : إنّ هذا كان رؤيا قبل الوحي في المنان ، ثم عرج به بالجسد في اليقضة في رجب ، بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقا لروياه من قبل / 16 أ لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [4] ، وهي التي رآها ليلة الإسراء من العجائب ، ولقاء الأنبياء ، روي أنه أسرى من بيت أم هاني من الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس ـــ وبينهما مسيرة أربعين ليلة ـــ في بعض ليلة ، فأحيى الله تلك الليلة جميع الأنبياء ، من عهد آدم عليه السلام ، وأذّن جبريل ، وصلوا خلفه ركعتين ، وبعد الفراغ من الصلاة جاءوا ، وسلموا عليه ، وأخبروه عن أحوال أممهم بأمر الله تعالى ، ثم عُرج به إلى السماء [5] ، إلى سدرة المنتهى ، إلى الكرسي ، إلى العرش ، فأوحى الله إلى عبده محمد عليه السلام ما أوحى .

وروي عن النبي عليه السلام : [بينا أنا نائم في المسجد الحرام في الحِجر ، بين النائم واليقظان ، إذ أتاني جبريل بالبراق] فذكر حديث الإسراء [6] ، فالأخبار الصحيحة في أمر

---

[1] لم أر نصا لهذا الحديث منسوبا إلى النبى صلى الله عليه وسلم بسند صحيح ،

[2] سنن ابن ماجة 5/333 ، والحديث بلفظه ، وبتمامه : (إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ : مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ).

[3] الفتح 27 ن والآية بتمامها : [لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا] .

[4] الإسراء 1

[5] كتب : ... بأمر الله تعالى ثم يخرج به عليه السلام ، وعرج إلى السماء ، وإلى سدرة المنتهى ... ، وما أثبتناه من ب .

[6] انظر صحيح مسلم 1/99 ، ومسند أحمد 3/148

المعراج كثيرة ، لا يمكن إنكارها ، فمن أنكر المعراج[1] من مكة إلى المسجد الأقصى ، فقد كفر ، ومن أنكر ما سوى ذلك ، فقد صار مبتدعا ضالا ، ومُضِلاً

وإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي أَمَانِ   عَنْ الْعِصْيَانِ عَمْدًا وَانْعِزَالِ

أي جميع الأنبياء معصومون[2] عن الكفر ، وعن المعاصي بعد الوحي ؛ خلافا للخوارج فيها ، وخلافا للحشوية[3] في المعاصي دون الكفر ، وقوم منعوا أنْ يتعمدوا الكبائر ، وجوزوا أنْ تُعمّد الصغائر ، وأكثر أهل الحق منعوا الكبائر ، عمدا كانت أو سهوا ، وجوّزوا الصغائر سهوا ، قلنا : إنه لو صدر عنهم كفر، أوذنب عمدا ، لوجب على الأمة اتباعهم بقوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[4] ، فيفضي إلى الجمع بين الوجوب والحرمة / 16 ب ولكان الأنبياء معذبين ؛ بسبب صدور الكفر والذنب بأشد العذاب ، لأنّ درجتهم في غاية الشرف ، وكل مّن كان كذلك ، كان صدور الذنب عنه أفحش ، فكان عذابه أشد ، كما أوعد نساء النبي عليه السلام بقوله : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾[5] ، ولأنه لو صدر الذنب منهم لكانوا من حزب الشيطان ؛ لأنهم فعلوا ما أراده الشيطان ، واللازم باطل ، لأنهم حينئذ استوجبوا الذم والإيذاء ، وقد قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾[6] ، ولذا قال الشيخ : إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي أَمَانٍ عَنْ الْعِصْيَانِ ، ولأنه لو صدر عنهم الذنب لانعزلوا عن درجة النبوة ، لأنّ المذنب ظالم ، والظالم لا ينال عهد النبوة ، لقوله تعالى : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[7] ، ولذا قال الشيخ ، رحمه الله : وانعزال ، أي : في الأمان عن الانعزال عن النبوة ، وأمَّا ما نُقل عنهم من الذنوب جميعا ، فبعضه افتراء عليهم ، وبعضه مُأوّل بتأويل يليق بحالهم ، وأمَّا صدور الصغائر عنهم ، فهو إمَّا سهو أو نسيان ، أو محمول على الأولى ، أو اشتباه المنهي[8] بالمباح ، والله أعلم .

---

[1] يلاحظ أن الشارح لا يفرق بين الإسراء والمعراج ، فالإسراء هو السير ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، والمعراج هو الصعود من بيت المقدس إلى السموات العلى .

[2] كتب معصوم ، وفي ب : معصومين .

[3] أهل السنة يتبرأون من الحشوية وينسبونهم للمشركين تارة ولليهودية تارة أخرى ومنهم من يقول أنهم أخطر من اليهود ، فقد أظهروا ببغداد من البدع الفظيعة والمخازي الشنيعة ما لم يسمح به ملحد فضلاً عن موحِّد ، ولا تجوّز به قادح في أصل الشريعة ولا معطِّل ، ونسبوا كلَّ من ينـزهُ الباري تعالى وجل عن النقائص والآفات وينفي عنه الحلول والتشبيهات ... إلى الكفر والطغيان ،و منافاة أهل الحق والإيمان وثلبِ أهل الحق وعصابة الدين ، ولعنِهم في الجوامع والمشاهد والمحافل والمساجد والأسواق والطرقات ؛ ثم غرَّهم الطمع والإهمال ومدّهم في طغيانهم الغيِّ والضلال انظر : (تبيين كذب المفتري) لابن عساكر ص 310 .

[4] الأعراف 158

[5] الأحزاب 30

[6] الأحزاب 57

[7] البقرة 124

[8] أي : المنهي عنه .

وَمَا كَانتْ نَبِيًّا قَطُّ أُنْثَى وَلاَ عَبْدٌ وَشَخْصٌ ذُو افْتِعَالِ

أي لا يجوز أنْ يكون النبي أُنثى ، لأنها واجبة الستر، والقرار في بيتها ، لقــوله تعالى : ﴿ وقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾[1] ، أي لا تظهرن زينتكن كإظهار النساء زينتهن في الجاهلية ، التي كانت بين آدم ونوح ، والجاهلية الأخرى جاهلية قوم في آخر الزمان ، يفعلون مثل فعلهم ، فالنساء أُمِرْنَ بالقرار في البيوت ، والنبوة تقتضي الاشتهار بالدعوة إلى الحق ، وإظهار المعجزات / والأنوثة تنافي ذلك ، فبالضرورة **17 أ** ينبغي أنْ يكون ذَكَرا ، كما أخبر الله تعالى في كلامه القديم : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] ، أي اسألوا أهل التوراة والإنجيل والزابور، أنّ الأنبياء رجال أم إناث؟ إنْ ارتبتم فيما قلنا ، وما روي عن النبي عليه السلام : [جاءت قبلي أربع نبيّات : كأمّ موسى ، ومريم عيسى ، وآسيه زوجة فرعون ، وحواء] فغير صحيح ، وإن سُلِّم أنه صحيح ، فمُأوّل بأنهن[3] مرفوعات في الدرجة على نساء العالمين من النَبْوَة ، وهي الرفعة .

وينبغي أنْ يكون النبي حُرّا ، لا عبدا مملوكا لشخص ، لأنه يعجز عن الاشتغال بالدعوة إلى الحق ، بسبب اشتغاله في خدمة مولاه ، ولأنّ الناس يستنكفون عن الاقتداء به .

وينبغي أيضا أن يكــون النبي تابعــا للوحي الظــاهر ، أو الوحي الباطن ، لقــوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾[4] ، لا شخصا يفعل فعلا برأيه ، يختلق كلمات [من] عنده ؛ ليدعو الناس إليه بالافتراء، وهو معنى قوله : ذو افتعال ، أي ذو فعل قبيح مختلق ، كاتصافه بالسحر ، والشعوذة ، والخداع[5] ، ونحو ذلك ، فإنّ النبي لا يجوز أن يكون موصوفا به ، لأنه مخل بانبوة ، [فإن] قيل : قد مرّ ما يغني عنه من قوله : وإنّ الأنبياء لفي أمان عن العصيان ، قلت : يجوز أنْ يكون ذكره للتوضيح هاهنا ؛ لشدة قبحه بالنسبة إلى غيره ، قوله : انثى ، في تقدير الرفع ، على أنه اسم كانت ، وخبره نبياً ، أي شخصا نبيا ، قُدِّم عليه للوزن ، وقط بالضم من الظروف الزمانية ، كقبل وبعد ، وهو للماضي المنفي ، تقول : ما فعلته قط ، أي في الزمان السابق ، فلا يقال : ما أفعله قط .

/ وَذُو الْقَرْنَيْنِ لَمْ يُعْرَفْ نَبِيًّا كَذَا لُقْمَانُ فَأَحْذَرْ عَنْ جِدَالِ

17ب

---

[1] الأحزاب 33
[2] الأنبياء 7
[3] في أ ، ب : بأنها .
[4] الأحزاب 2
[5] كتب : بالسحر والشعر والجزاع : وما أثبتناه من ب .

اختلف العلماء في نبوة ذي القرنين[1] ، اسمه عبد الله ، وقيل : اسكندر فيلقوس الرومي ، من ولد يونان بن يافث بن نوح ، وإنما لقب بذي القرنين ؛ لأنه بلغ قرني الشمس : مشرقها ومغربها ، وقيل : لأنه ملك الروم والفرس ، وقيل : لأنه دخل النور والظلمة ، وقيل : رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس، وقيل: لأنه كان له قرنان تواريهما العمامة ، روي أنه أمر قومه بتقوى الله تعالى ، فضربوه على قرنه الأيمن فمات ، فبعثه الله ، ثم أمرهم ثانيا بتقوى الله تعالى ، فضربوه على قرنه الأيسر ، فمات ، فأحياه الله ، وعاش بعد ذلك ألفا وستمائة سنة، والحق أنه لم يكن نبيا، لأنّ الرسول عليه السلام سُئل عنه، فقال[2] : [لم يكن نبيا ، ولا ملكا ، ولكن كان عبدا أحب الله فأحبه الله ، فناصح الله فناصحه الله][3] ، وروي عن عكرمة أنه كان نبيا ، وروي عن وهب أنه كان ملكا[4] .

وكذلك اختلفوا في نبوة لقمان ، وأكثرهم على أنه لم يكن نبيا ، وإنما كان حكيما ، وروي أنّه خُيِّر بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة ، فسئل عن ذلك فقال : خيَّرني ربي ، فقبلت العافية ، ولم أقبل البلاء ، وروي عن عكرمة أنه كان نبيا ، وقيل : كان قاضيا في بني إسرائيل ، أو عبدا حبشيا ، وكان خياطا ، أو نجارا ، أو راعي غنم ، عاش ألف سنة ، فلمَّـا لم تتحقق نبوتهما أمر الشيخ بترك الجدال في المشكوك ، لأنه لا ينفع سوى الاثم .

وَعِيسى سَوْفَ يَأْتِي ثُمَّ يَتْوِى لِدَجَّالٍ شَقِيٍّ ذِي خَبَالِ

أي سينزل عيسى عليه السلام من السماء الرابعة إلى الأرض ؛ لقتل أعداء الله تعالى ، ونصر دينه ، وتنفيذ شريعة نبينا محمد عليه السلام ، ونشر أحكامها ، ثم يهلك الدجال الكافر الشقي / صاحب الخبال ، وهو الفساد ؛ لأنه يدّعي الألوهية ، ويُظهر المعجزات

18أ ، ويدعو الناس إلى عبادته ، ويتبعه سبعون ألفا من أمة محمد عليه السلام ، ويمكث في الأرض أربعين يوما ، وقيل : أربعين سنة ، قال عليه السلام : [ينزل عيسى ابن مريم ، فإذا رآه الدجال ذاب كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ ، فيقتل الدجال ، ويتفرق عنه اليهود لعنهم الله ، فيُقتلون ، حتى إنّ الحجر يقول للمؤمن : يا عبد الله المسلم ، هذا يهودي ، تعال فاقتله] ، وقال عليه السلام أيضا : [يَنْزِلُ عيسى بن مريم عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِى حَيْثُ يَنْتَهِى طَرْفُهُ

---

[1] كتب : ذو القرنين ، وما أثبتناه من ب .

[2] جاء في تفسير الطبري 18/93 ، أنه من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والذي جاء في تفسير الطلري : حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي الطفيل، قال: سمعت عليا وسألوه عن ذي القرنين أنبيا كان؟ قال: (كان عبدا صالحا، أحبّ الله ، فأحبه الله، وناصح الله فنصحه، فبعثه الله إلى قومه، فضربوه ضربتين في رأسه، فسمي ذا القرنين ، وفيكم اليوم مثله)

[3] تفسير البغوي ، في تفسير قوله تعالى [ويسألونك عن ذي القرنين] .

[4] تفسير الطبري 18/93

فَيَطْلُب الدجال حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ] [1] ، قيل : إنه يمكث في الأرض أربعين سنة ، يتزوج من العرب ، فيولد له أولاد ، ويكون ولياً من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، ينصر ، ويُعلي دينه ، حتى لا يبقى كافر على وجه الأرض ، ويكون مقدمة عيسى عليه السلام أصحاب الكهف ، يُحيهم الله تعالى في زمانه ؛ ليكونوا أنصارا إلى الله ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [2] . قوله : الدجال متعلق بقوله : يأتي ، أي لإهلاكه ، وهو في التقدير مقدم على قوله ثم يتوي ، معلوم [3] من الإتواء ، وهو الإهلاك ، أي يتويه ، أي بتقدير المفعول الراجع إلى دجال المقدَّم رتبة ، وليس هذا من باب التنازع كما قيـل ، لوجود اللام في الدجال ، ولا يجوز أيضا أنْ يكون من التوى / لأنه يوهم حصول هلاك عيسى عليه 18 ب السلام لأجل الدجال ظاهرا .

كَرَامَاتُ الوَلِيِّ بِدارِ دُنْيا لَهَا كَوْنٌ فَهُمْ أَهْلُ النَّوالِ

قوله : كرامات الوليّ ، مبتدأ ، وقوله : لها كون مبتدأ وخبر ، وهذه الجملة في محل الرفع خبر المبتدأ الأول ، وقوله : بدار دنيا ، متعلق بالكون ، والمراد منه الثبوت ، والوقوع ، قوله : فهم ، يرجع إلى الولي ، لأنّ المراد به الجنس ، بدليل إضافة الجمع إليه ، والنوال هو الإعطاء ، أي هم أهل [4] الفضل من الله تعالى ، قال أهل السنة والجماعة : كرامات الأولياء ثابتة في دار الدنيا ، خلافا للمعتزلة ، حجتنا في ذلك النقل والعقل : أمَّـــا النقل فما أخبر الله تعالى عن صاحب سليمان عليه السلام ، وهو آصف بن برخيا ، وكان وزيره ، أنَّه أتى بعرش بلقيس من مسافة بعيدة في زمان قريب ، كما قال الله تعالى في حقه : ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ الآية [5] ، وكذا سمع سارية ــ صحابي من الصحابة ، أرسله عمر رضي الله عنه إلى نهاوند للجهاد مع جماعة كثيرة من المسلمين ــ قول عمر ، وهو بالمدينة ، فوق منبر الرسول عليه السلام : يا سارية الجبل ، الجبل ، وكان بينهما أكثر من خمسمائة فرسخ ، وكذا جريان النيل في مصر بكتاب عمر ، حين وقف النيل عن الجريان ، فظهر القحط في أهلها ، فإنه كتب فيه : مِن عمر إلى نيل مصر ، أمَّـــا بعد ، فإنْ كنت تجري بحولك وقوّتك ، فلا حاجة لنا فيك ، وإنْ كنت تجري بأمر الله وقدرته فاجر صاغرا ، فلمَّـــا جاء الكتاب إلى مصر ،

---

1 صحيح مسلم 8/197

2 التوبة 33 ، الفتح 28 ، الصف 9

3 يعني أن الفعل مبني للمعلوم ، وليس للمجهول .

4 كتب : أي أهل هم الفضل ، وما أثبتناه من ب .

5 النمل 40 ، والآية بتمامها : [قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ] .

طرحوه في النيل ، فجرى الماء بإذن الله ، ولم يقف من ذلك الزمان إلى هذا الوقت ، وكذا شرب خالد بن الوليد/ قدحا من السم من يد الكفار ، فإنه لم يضرّه حين ذهب إلى 19 أ جهادهم ، وحاصر مدينة من مدائنهم ، وقالوا : إنْ تشرب هذا السم نعلم أنّ دينك حق ، فنؤمن بمحمد ودينه . وما نقل من كرامات التابعين ، وصالحي هذه الأمة بلغ حدا لو جمعت آحادها لبلغت حد التواتر في جواز الكرامات . وأمَّـا العقل ، فلأنّ الله تعالى يقدر أن يُجري على خلاف العادة على يد عبده الصالح ، ما يعرف به ثمرة الطاعة ، وتزداد بصيرته بصحة دينه ، لا يقال[1] : لو صح هذا لاشتبهت الكرامة بالمعجزة ، فلا يُعرف النبي من الولي ، لأنَّـا نقول : إنّ المعجزة تقارب دعوة النبوة ، ولو ادّعى الوليّ المعجزة لكفر من ساعته ، فلا يبقى أهلا للكرامة ، بل يدّعي الولي متابعة النبي عليه السلام ، فلا جرم ؛ لكون كل كرامة ظهرت في يده معجزة النبي عليه السلام ، فلا يقع الاشتباه .

وَلَمْ يَفْضُلْ وَلِيٌّ قَطُّ دَهْرًا   نَبِيًا أَوْ رَسُولاً في انْتِحَالِ

أي كل واحد من الأولياء ، لم يفضل على نبي ورسول في مرتبة الشرف ، وهو معنى الانتحال ، فأو بمعنى الواو ، يعني به : لم يرجّح لا من نبي ، ولا رسول في زمان من الأزمنة قط ، لأنّ الوليّ إنسان صالح ، تابع لسنّة النبي والرسول ، ولا يصح أنْ يكون التابع أعلى من المتبوع ، ولأنّ النبي عليه السلام قال في حق أبي بكر رضي الله عنه : [والله ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر][2] ، رضي الله عنه ، وهو أفضل من غيره ، فيكون النبي أفضل من الولي ، خلافا لبعض الصوفية من أهل الإباحة ، فإنهم قالوا : مرتبة الولي / الكامل المكمل أفضل من النبي ، وهو كفر وزندقة ، لقوله19ب تعالى في حق الأنبياء ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[3] ، وقوله : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[4]، وقوله في حق الرسول عليه السلام :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[5] ، وقوله : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾[6]، وقوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[7] ، ولا شكّ أنّ مرتبة المُطيع أدنى من مرتبة المُطاع ، فمن أنكر ذلك فقد كفر ، والفرق بين النبي والرسول أنّ الرسول هو نبي جاءه جبريل بكتاب فيه شريعة مخصوصة له ، سواء

---

1 في ب : واحتجت المعتزلة بأنه ....
2 الجامع الكبير للسيوطي 1/26515
3 الحج 75
4 سورة ص 47
5 الأنبياء 107
6 النساء 69
7 النساء 80

نسخ ما قبله ، أو لم ينسخ ، والنبي مَن بعثه الله إلى عباده ، لتبليغ ما أوحى الله إليه ، أعمّ من أنْ يكون له كتاب منزل ، أو لم يكن .

قوله : دهرا ، بدل من قط ، ونبياً منصوب بنزع الخافض ، أي على نبي ، وفي انتحال ، متعلق بقوله لم يفضل .

وَلِلصِّدِّيقِ رُجْحَانٌ جَلِيٌّ عَلَى الْأَصْحَابِ مِنْ غَيْرِ احْتِمَالِ

أي لأبي بكـر الصديق علوُّ القدر عند الله تعـالى ظاهر على جميع أصحاب النبي عليه السلام ، بلا احتمال رجحان أحد منهم ، والدليل عليه قوله عليه السلام [والله ما طلعت][1] إلى آخر الحديث ، ولأنّ الصحابة اتفقوا بعد وفاة الرسول عليه السلام على إمامة أبي بكر ، رضي الله عنه ، وذلك حجة قاطعة على أنه مفضل على جميعهم ، ولأنه عليه الصلاة والسلام قال : [لمـّـا أن عُرج بي إلى السماء ، ووقفت بين يدي الرحمن ، قال لي : يا أحمد ! على مَن تركت أهل الأرض؟ قلت ياربّ ! على أبي بكر الصديق ، فقال : إنه أحب العباد إليّ بعدك ، فأقرئه من السلام] [2] . ، ولأنه عليه السلام / قال : [اقتدوا بالذين 20أ من بعدي: أبي بكر وعمر][3] ، فبايعه عمر وعلي على رؤوس الأشهاد ، ثم استخلف قبل وفاته عمر بن الخطاب ، فدلّ ذلك على رجحان الصديق ، وإنما سُمي صديقا لأنّ النبي عليه السلام لمـّـا أخبر عن قصة الإسراء أبا جهل ، وضع أبو جهل يديه على رأسه تعجبا وإنكارا ، وارتد ناس ممن كان آمن به عليه السلام ، وسعى رجال إلى أبي بكر ، فأخبروه بما قال النبي عليه السلام ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : إنْ كان قال ذلك فصدق ، قالوا : أتصدقه على ذلك ، قال : أني لأصدقه على أبعد من ذلك ، فسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صديقا ، قيل : الصادق مَن صدقت عبارة لسانه ، والصديق من صدقت إرادة جنانه وقلبه[4] .

وَلِلْفَارُوقِ رُجْحَانٌ وَفَضْلٌ عَلَى عُثْمَانَ ذِى النُّورَيْنِ عَالِ

أي لعمر الفاروق رجحان ، أي علو القدر ، وفضيلة على عثمان ذي النورين ، الذي هو عالي القدر عند الله ، لأنّ أبا بكر الصديق استخلف قبل وفاته عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين يئس من حياته ، بمشورة عثمان وعلي رضي الله عنهما ، فلمـّـا استحسنا رأيه

[1] جاء في كتاب فضائل الخلفاء الراشدين لأبي نعيم، رقم الحديث (9) (حديث مرفوع) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ سَهْلِ بْنِ الإِمَامِ ، ثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الْخَطَّابِيُّ ، ثَنَا هَوْذَةُ بْنُ خَلِيفَةَ ، ثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : رَآنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَمْشِي أَمَامَ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ : " أَتَمْشِي أَمَامَ أَبِي بَكْرٍ ، مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، وَلا غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " . رَوَاهُ بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَغَيْرُهُ .

[2] انظر : الفردوس بمأثور الخطاب ، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار ، 3،429

[3] مجمع الزوائد 9/259

[4] وقلبه : زيادة من ب .

كتب صحيفة عهده لعمر رضي الله عنه ، وختمها وأخرجها إلى الناس ، وأمرهم أنْ يُبايعوا لمن في الصحيفة ، فبايعوه ، فاتفقت الصحابة على خلافته ، واتبع آثار أبي بكر في تجهيز الجيوش في الجهاد ، حتى قمع الله بسيفه الكفر والفساد بما شاء الله قمعه ، وسمِّي فاروقا لكثرة سعيه في الفرق بين الحق والباطل ، قال النبي عليه السلام في حقه : [لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ ، لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ.][1] ، وقال أيضا : [إنّ الشيطان ليفر من ظل عمر][2] ، وقال أيضا : [عمر بن الخطاب / سراج هذه الأمة] ، وسُمّي عثمان ذا النورين لأنّ20ب الرسول عليه السلام زوجه بنتيه ، وهما النوران من أنواره في الإسلام ، قوله : عالٍ ، صفة بعد الصفة لعثمان رضي الله عنه ، لكونه معرفة ، والتنوين عوض عن المضاف ، أي عالي القدر ، حذف للوزن ، والسجع .

وَذو النُّورَيْنِ حَقًا كَانَ خَيْرًا مِنَ الْكَرَّارِ في صَفِّ الْقِتَالِ

عثمان رضي الله عنه صاحب النورين كان أفضل حقا من الكرّار ، وهو علي بن أبي طالب ، وسمي بالكرار لرجعته إلى الأعداء في الحرب في صفّ القتال، من غير الفرَّار منهم، قوله : حقاً ، مفعول مطلق ، وقع تأكيدا لقوله خيرا ، أي : أُحقه حقا ، وفي فضله أخبار كثيرة ، منها قوله عليه السلام : [لو كان لي أربعون بنتا لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة ، حتى لا يبقى منهن واحدة][3] ، وقال عليه السلام أيضا : [يا عثمان ! أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ][4] ، وقال أيضا : [والذي بعثني بالحق ليشفعن عثمان بن عفان فى سبعين ألفا من أمتى قد استوجبوا كلهم النار] [5] .

وروي أنّ عمر لما استُشهد ، وترك أمر الخلافة شورى بين ستة : عثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، وزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، ثم فوّض الأمر خمستهم إلى عبد الرحمن بن عوف ، ورضوا بحكمه على مَن يختاره للإمامة ، فاختار هو عثمان ، وبايع له بمحضر من الصحابة ، فبايعوا له ، وانقادوا لأوامره ، وصلوا معه الجُمَع والأعياد مدة خلافته ، فكان ذلك إجماعا منهم على صحة خلافته .

وَلِلْكَرَّارِ فَضْلٌ بَعْدَ هذَا عَلَى الْأَغْيَارِ طُرًّا لاَ تُبَالِ

---

1 المسند الجامع 30136

2 البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير ، لابن الملقن ، ولفظه فيه : [إن الشَّيْطَان ليفر مِنْك يَا عمر]

3 جامع الأحاديث 30/433 ، وكنز العمال رقم (36256) .

4 روى جابر المحدث (بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المهاجرين ، فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لينهض كل رجل إلى كفوه ، ونهض النبي صلى الله عليه وسلم إلى عثمان فاعتنقه وقال : أنت وليي في الدنيا والآخرة) .
قال ابن الجوزي في موضوعاته 2/86: لا أصل له ولا صحة

5 جامع الأحاديث 22 435

أي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه / الرجّـــاع على الأعداء للحرب فضيلة بعد عثمان 21أ ذي النورين على غيره من الناس جميعا ، لا تبالِ أنت في تفضيله على جميع الأغيار ، لاتفاق أهل الحق عليه ، وطراً قد مرّ القول فيه ، و(لا) في لا تبال للنهي ، وعلامة جزمه سقوط الياء من لا تبالِ ، وفي فضيلته أخبار كثيره ، منها : قوله عليه السلام : [مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ، اللَّهُمَّ وَالِ من وَالَاهُ وَعَادِ من عَاداه][1] ، وقال : [يا علي ! أنت سيد في الدنيا وفي الأخرة ، فمن أحبك فقد أحبني، ومن أبغضك فقد أبغضني][2] ، وقـــال أيضا : [دخلت الجنة فرأيت على باب الجنة مكتوبٌ، لا إله إلا الله محمَّد رسول الله وعليّ أخو رسول الله][3] .

وروي أنّ عثمان استشهد ، وترك أمر الخلافة مهملا ، حتى اجتمع كبراء الصحابة من المهاجرين والأنصار ، والتمسوا من عليٍّ رضي الله عنه قبول الخلافة ، فامتنع إلى ثلاثة أيام إعظاما لمقتلة عثمان ، فلمـّـا شاعت الفتنة ، ووقع الخوف على المهاجرين ، التمسوها ثانيا ، وأقسموا عليه حتى قبلها ، فبايع له مَن حضر من كبار الصحابة ، لأنّه هو المصيب بأمر الخلافة في زمانه عند أهل السنة والجماعة ، وأفضل أهل عصره ، وختمت خلافة النبوّة بعليّ رضي الله عنه ، لقوله عليه السلام : [الخلافة من بعدي ثلاثون سنة وما وراءها مُلك وإمارة][4] ، وكان زمان موته شهيدا على رأس ثلاثين سنة من موت النبي عليه السلام ، فمن أنكر خلافة الشيخين فقد كفر ، لقوله عليه السلام تصريحا : [إقتدوا بالذين من بعدي][5] ، ومن أنكر خلافة الختنين يُخشى عليه الكفر ، لأنّ ثبوتها فيهما بطريق الظن ، وهو الاجتهاد .

/ وَلِلصِّدِّيقَةِ الرُّجْحَانُ فَاعْلَمْ عَلَى الزَّهْرَاءِ فِي بَعْضِ الْخِلاَلِ 21ب

المراد من الصديقة زوج[6] النبي عليه السلام ، بنت أبي بكر الصديق ، عائشة رضي الله عنها ، وسمـّـاها النبي صدّيقة ، كما سمّى أباها صدّيقا ؛ لوفور صدقها بالجنان في محبة الرسول عليه السلام وخدمته بتوفيق الله تعالى إياها ، وكان النبي عليه السلام يناديها يا

---

1 تخريج أحاديث الكشاف 1/410
2 ذخيرة الحفاظ 2/742
3 توضيح الدّلائل في تصحيح الفضائل، للسيد محمد هادي الحسيني الميلاني ، الباب الأوّل من القسم الثّاني ص 246
4 روى عمرو بن أبي عاصم في كتابه ـ السنةـ ص 548 : حدثنا هدبة بن خالد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن سعيد بن جمهان ، عن سفينة أبي عبد الرحمن مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : الخلافة ثلاثون سنة ثم يكون بعد ذلك ملكا . قال سفينة : فخذ ، سنتين أبو بكر ، وعشرا عمر ، واثنتي عشرة عثمان ، وستا علي رحمهم الله .)) .
وانظر : ـ ـ سنن الترمذي : 4/436ـ سنن أبي داوود : 5/36 فضائل الصحابةـ للامام أحمد بن حنبل ص 17 - مسند احمد بن حنبل ج 5 ص 221
5 مجمع الزوائد 9/258
6 في أ ، ب : زوجة ، وهو غلط لغوي ، والصواب ما أثبتناه .

موفّقة ، فعُلِم أنّ لها فضلا على بنت النبي عليه السلام فاطمة ، الملقبة بالزهراء في بعض الخلال ، أي الخصال الحميدة ، جمع خِلة ، بمعنى الخصلة ، وهي الصفة العزيزة ، يعني في تحصيل عِلْم النبوة ، وأحكام الشرع ، في كونها منكوحة رسول الله عليه السلام ، قال عليه السلام في حقّ عائشة رضي الله عنها : [اطلبوا ثلثي دينكم من هذه الحُميراء] [1] ، يعني عائشة ، روي عن عائشة أنّ جبريل عليه السلام جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي عليه السلام ، فقال : هذه زوجتك في الدنيا والآخرة .

وإذا عرفت فضيلتها ، فاعلم أنها مطهرة النفس عن الكدورات البشرية ، ومتصفة بالصفات القدسية ، بصحبة رسول الله عليه السلام ، ولا يطعن فيها إلاّ ولد الزنا ، أو مَن يفتري الكذب من الذين لا يؤمنون .

وإنما قال : في بعض الخلال ، لأنّ فاطمة أفضل من عائشة ، بكونها من نسب النبي عليه السلام ، قال عليه السلام : [فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي ، فمن أبغضها أبغضني] [2] ، وروي عن عائشة أنها سُئلت: أي النساء كان أحب إلى رسول الله عليه السلام ؟ قالت: فاطمة ، فقيل : من الرجال ؟ قالت زوجها .

وَلَمْ يَلْعَنْ يَزِيدًا بَعْدَ مَوْتٍ سِوَى الْمِكْثَارِ فِي الْإِغْرَاءِ غَالِ

اللعن : الطرد في اللغة ، ثم استعمل في تبعيد الله الشخص من رحمته ، كما قال الله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [3] / أي بعدوا من رحمة الله تعالى ، واللعنة قد تكون دعاء على 22أ الشخص أبديا ، كما في الشيطان ، والمُصِرّ على الكفر ، وقد تكون مؤقتا بسبب القول أو الفعل القبيحين ، فإذا خرج من ذلك القول ، أو الفعل بالاستغفار والتوبة زال عنه وصف كونه ملعونا من رحمة الله ، وقرب منها ، سواء كان كافرا فأسلم ، أو مسلما فتاب بالاشتغال بالطاعة والخير .

فإذا عرفت هذا ، فاعلم أنه لا يجوز أن يَلعن المسلم أحدا من المسلمين بعد التوبة عن الكبيرة ، عملها[4] بالتحقيق ، أو تردد في ذلك ، فعلى هذا قال الشيخ : ولم يلعن ، أي لم يدع بدعاء اللعنة يزيدا بعد موته ، وهو يزيد بن مروان ، الذي أمر بقتل قرة عين رسول الله عليه السلام ، الحسين ، رضي الله عنه ، سوى المكثار ، وهو فاعل لم يلعن ، أي إلاّ الرجل الكثير الكلام في الشُّهرة ، غالي ، أي متجاوز الحد في الإغراء ، أي في تحريض الشر ، والفعل القبيح، لاحتمال أنه كان تائبا قبل موته، وراجعا عمَّـــا باشر عليه ، فيرجى غفرانه ،

---

[1] في معظم الروايات شطر دينكم ، و قال علي بن سلطان القاري: حديث خذوا شطر دينكم على الحميراء لا يعرف له أصل . المصنوع 1/98

[2] المسند الجامع ، 18/ 312 ، وفيه : إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّى يُؤْذِينِى مَا آذَاهَا وَيُنْصِبُنِى مَا أَنْصَبَهَا.

[3] المائدة 78

[4] كتب : علمها ، وما أثبتناه من ب .

ودخوله في شفاعة النبي عليه السلام ، كالوحشي ، فإنه قاتل حمزة ، فتاب بعده عنه ، فتاب الله عليه ، فقبله النبي عليه السلام ، فصار صحابيا من أصحاب النبي عليه السلام .
قوله : في الإغراء ، يتعلق بقوله غال ، قُدِّم عليه للوزن ، وهو بدل من المكثار ، وانصرف يزيد مع وجود العلتين لمنع الصرف فيه ، وهما : وزن الفعل ، والعلم ، للضرورة .
فإنْ قلت : لو لم تجز اللعنة على المسلم بالمعصية ، لِم لعن الرسول عليه السلام بعض المسلمين في قوله ؟ [لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِي][1] ، و [لَعَنَ الْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ] [2] ، و [لَعَنَ اللَّهُ الْفُرُوجَ عَلَى السُّرُوجِ][3] ، وكما لعن الله في كلامه ، حيث قال : /﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[4] ، وقال : ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[5] ، وغير ذلك .
قلت : الفرق بين لعنة الكافر ، ولعنة المؤمن هو أنّ لعنة الكافر طرد أبدي من رحمة الله ، ولعنة المؤمن الفاسق وعيد وتخويف من إحسانه ولطفه ، ليسمع ويرجع عن فسقه ، أو يحذر ويرجو رحمته وعفوه ، فمن يلعن يزيد حال حياته جاز ، ويكون من هذا الضرب ، وأمَّــا بعد موته فلا يجوز ، لأنه في مشيئة الله تعالى ، إنْ شاء عذبه بعدله بقدر ذنبه ، وإنْ شاء عفا عنه ، بفضله ورحمته[6] .

وَإِيمَانُ المُقَلِّدِ ذُو اعتِبَارِ ‏ ‏ ‏ ‏ بِأَنْوَاعِ الدَّلَائِلِ كَالنِّصَالِ

اختلف أهل العلم في صحة إيمان المُقلِّد ، وهو من التقليد ، بمعنى قبول قول الغير بغير حجة ، ومعرفة ذلك موقوفة على معرفة حقيقة الإيمان ، فقال المحققون : الإيمان هو التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، شرط إجراء الأحكام ، نصّ عليه أبو حنيفة في كتاب العالِم والمتعلم ، وقال الأشعري : إنّ الإيمان في اللغة التصديق ، إلاّ أنّ التصديق لمَّــا كان أمرا باطنا ، لا يمكن إجراء الأحكام عليه ، أوجب الشرع الإقرار باللسان ؛ إمارة على التصديق ، لا شرطا لإجراء الأحكام ، ولهذا يكفي في العمر مرة ، فيكون الإيمان حينئذ هو الذي يُخبر عن التصديق بالقلب ، وينبغي أنْ يضمّ إليه الاستدلال ، فلا يجوز أنْ يعرف صحة قول الرسول عنده بدون دلالة العقل ، وعندهم يصح بدونها ، بعد كون التصديق بالقلب ، فإذا قال الرجل : آمنت ، ولم يكن التصديق قائما بالقلب ، لا يكون صادقا بالإخبار بالإيمان عن التصديق ، ولذلك نفى الله تعالى الإيمان عن المنافقين / مع إقرارهم بالإيمان في 23أ قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾[7] ، أي استسلمنا ،

[1] المسند الجامع 26/260
[2] المسند الجامع 27/90
[3] نصب الراية لأحاديث الهداية 3/228
[4] هود 18
[5] النور 7
[6] في ب : وكرمه .
[7] الحجرات 14

وإذا عرفت هذا ، فنقول : قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي رحمهم الله : إيمان المقلد صحيح ، ولكنه عاصٍ بترك الاستدلال عليه ، وقالت المعتزلة : إيمان المقلد ليس بصحيح ، إذ لا معرفة له ، والإيمان هو المعرفة ، فهو لا مؤمن ولا كافر ، وحكم أبو هاشم[1] من رؤسائهم بكفره ، وقال : مَن لم يعرف كل مسألة من مسائل الأصول بدلالة العقل على وجه يمكنه دفع الشبهة لا يكون مومنا ، والصحيح ما عليه عامة أهل العلم والفقه مِن أنّ الإيمان هو التصديق مطلقا ، كمن أخبر بخبر فصدّقه آخر ، صحّ أنْ يقال آمن به ، وآمن له ، فإذا أخبر المقلد بما يجب الإيمان به فصدّقه كان مؤمنا ، فيستحق ما وعد الله للمؤمنين ، وقول الرسول عليه السلام يدل على صحة إيمانه ، حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان ، وهو [أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلاَئِكَتِهِ ، وكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ من الله تعالى][2]، فإنه عليه السلام ما أجاب إلاّ بمجرد التصديق ، وهو حاصل في المُقلِّد ، ولأنّ الرسول عليه السلام لم يشتغل قط فيمن جاء وآمن به بتعليمه الدلائل العقلية في المسائل الاعتقادية ، والجواب عن شبهتهم أنّ المعرفة غير الإيمان ، بدليل أنه ينفك عنها، فإنّ أهل الكتاب يعرفون نبوة محمد عليه السلام كما يعرفون أبناءهم ، ولكن لا يُصدِّقون كما نطق به القرآن الكريم / وهذا الخلاف إنما وقع فيمن نشأ على 23ب شاهق جبل ولم يتفكّر في العالَم ، ولا في الصانع أصلا ، فأُخبر بذلك فصدقه ، فهو مؤمن ، فأمَّــا مَن نشأ في بلاد المسلمين ، وسبّح الله عند رؤية صُنْعٍ مِن صانعه ، وهو خارج عن التقليد .

قوله : بأنواع الدلائل ، يتعلق بحكم الخبر ، وهو إيجابه ، لا باعتبار ، وإلاّ لكان من تمام الخبر ، وتلك الأنواع ما قلنا من العقل و النقل ، وفعل النبي عليه السلام ، وإنما شبهها بالنصال في النفاذ ، وهي جمع نصل ، وهو حديد السيف ، لكونها دلائل قطعية ، لا تقبل التأويل ، فتنفذ عند أهل العقل ، كما ينفذ النصال عند الضرب ، وهو مع جارّه في محل النصب على الحال من الدلائل ، أي : مُشبّهةً بالنصال .

وَمَا عُذْرٌ لِذِي عَقْلٍ بِجَهْلٍ بِخَلاَّقِ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي

أي ليس عذر لأحد عاقل من البالغ والصبي في الجهل بخالقه ، خالق الأسافل ، وهي سبع أرضين ، وخالق الأعالي ، وهي سبع سموات ، لِما يرى من خلق نفسه ظاهرا وباطنا ،

---

[1] هو الشيخ أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام ابن خالد بن حمران الجبائي المعتزلي وابن شيخ المعتزلة. ولد عام 275هـ، ودرس على أبيه وعلماء عصره، حتى نبغ وأشتهر بين العلماء، وكان من البارعين في علم الكلام والمناظرة، ولم تكن له رواية في علم الحديث، وأتبعته فرقة يطلق عليها الهاشمية، أو البهشمية من المعتزلة. ، توفي سنة 321هـ ، ومن مؤبفاته : الشامل في الفقه ، وتذكرة العالِم .

[2] المسند الجامع 31/ 465

وخلق السموات والأرض وما فيهما من الكواكب والشمس والقمر ، ودورانها بالحكمة ، ومن الجبال ، والبحار ، والأشجار ، والأنهار الجارية على الدوام للمصلحة التي يعلمها الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1] ، وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] ، لكنّ أهل العلم اختلفوا في أنّ وجوبه بالعقل أم بالسمع ، قال أبو حنيفة رحمة الله عليه ، ومَن تابعه : إنّ وجوب الإيمان بالله بالعقل لا بالسمع ، فإنه لو لم يبعث رسولا ؛ لوجب على الخلق معرفته بعقولهم ، وأمَّـــا في الشرع وأحكامه فهم معذورون ، حتى تقوم عليهم الحجة السمعية/ وقالت الملاحدة والروافض والمشبهة: 24أ لا يجب بالعقل شيء ، ولا يُعرف به حُسن الأشياء وقبحها ، وقال الأشعري به ، فلا يجب بالعقل شيء ، أو لا يُعرف به حسن الأشياء وقبحها ، وقالت المعتزلة : العقل يوجب الإيمان بالله ، وشكر نعمته ، ويثبت الأحكام بذاته ، وقالت أهل السنة والجماعة : العقل آلة يُعرف بها حُسن الأشياء وقبحها ، ووجوب الإيمان وشكر النِّعم ، والمُعرِّف والموجب في الحقيقة هو الله تعالى ، لكن بواسطة العقل ، وأمَّـــا الصبي العاقل إذا كان بحال يمكنه الاستدلال ، فقال الشيخ أبو منصور رحمه الله : يجب الإيمان عليه ، وتابعه أكثر مشايخ العراق ، وقال بعضهم : لا يجب عليه قبل البلوغ شيء ، لأنّه غير مُكلَّف ، وحجة المشايخ قوله تعـــالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[3] ، والسمع يختص بالمسموعات ، والبصر بالمبصرات ، والفؤاد بالمعقولات ، مع أنّ السمع والبصر لا يستغنيان عن العقل ، إذ السمع يسمع الحق والباطل ، ولا يُفرِّق بينهما إلاّ بالعقل ، وكذا البصر ، يُبصر الحق والباطل ، ولا يُفرِّق بينهما إلاّ بالعقل ، فإذاً مدار المعارف على العقل ، والبالغ والصبي العاقل في ذلك على التسوية ، لأنّ الأنبياء ناظروا أممهم بالدلائل العقلية ، وخاصة الخليل عليه السلام ، كما هو المشهور المذكور في القرآن ، وليس تفسير وجوب الإيمان بالعقل أنْ يستحقّ العاقل الثواب بفعله ، أو العقاب بتركه ، إذ هما لا يعرفان إلاّ بالسمع ، ولكنّ تفسيره / عندنا تحقيق ترجيح في العقل أنّ الاعتراف بالصانع أولى من أنكاره ، وتوحيده 24 ب أولى[4] من إشراك غيره به ، لفرقان العقل بينهما .

قوله : لذي عقـــل ، إشارة إلى أنّ الصبي العاقل كالبالغ في وجوب الإيمان بالله بواسطة العقل ، كما أنه لو أسلم ، كان إسلامه صحيحا بالاتفاق ؛ لعدم التفاوت في العقل بين البالغ والصبي العاقل في الاستدلال به ، ولذا لم يقل لذي بلوغ ، ولكنّ التفاوت بينهما باعتبار الأحكام الشرعية ، التي هي الأعمال الشاقة ثابت جدا ، من حيث ضعف البُنية وقوّتها ، إذ

---

[1] الذاريات 21
[2] الأعراف 185
[3] الإسراء 36
[4] في أ ، ب : أخرى ، وما أثبتناه هو ما يستقيم به النص .

لها أثر عظيم ، لا يتحمله الصبي ، ولو كان عاقلا ، فلا تكون واجبة عليه ، وهي تتعلق بالخطاب السمعي الذي لا يليق بحاله ، لقوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] ، فلا يكون محلاً للخطاب ، ولأنّ الرسول عليه السلام قال في حقه : [رُفِعَ الْقَلَم عَنِ الصبيّ حَتَّى يحتلم][2] ، أي يبلغ ، وأراد برفع القلم رفع تعلّق الخطاب السمعي ، بقرينة ذكر القلم ، لأنه يُستعمل في السمعيات ، دون العقليات .

قوله : لذي عقل ، خبر ما ، بمعنى ليس مجازا ، وبجهل يتعلق بالمنفي ، والباء للسببية ، وهو في محل النصب على الحال ، تقديره مُلابساً بجهل ، والباء في بخلاف يتعلق بجهل على المفعولية .

وَمَا إِيمَانُ شَخْصٍ حَالَ بَأْسٍ بِمَقْبُولٍ لِفَقْدِ الْإِمْتِثَالِ

أي ليس إيمان شخص حال البَأس ، وهو الشدة والعذاب بمقبول عند الله ؛ لانتفاء امتثال أمره تعالى قبل ذلك ، يعني لو آمن الكافر وقت معاينة العذاب والعقوبة ، لا يُقبل إيمانه ، لقوله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾[3] ، / وقيل : البأس سكرات 25 أ الموت ، لأنّ كل أحدٍ يرى مكانه عند الموت ، فيؤمن ، ولا يُقبل إيمانه ، لأنه لم يؤمن بالغيب ، والمراد من الإيمان أن يكون في حال الغيب ، لقوله تعالى : ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ الآية [5] ، قيل : المراد من السيِّئات الشرك ، أو عمل النفاق ، ولقوله تعالى في شأن فرعون : ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[6]، فقـال تعالى في جوابه باستفهام الإنكاري : ﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[7] ، أي لم تؤمن بي ، فأنكر الله إيمانه ، لقوله:﴿ آلْآنَ ﴾ ، أي في هذا الوقت تؤمن ، وهو وقت الاضطرار ، لا وقت الاختيار ، فأغرقه مع أتباعه وجنوده في البحر ، فإن قلت : هـذا منقوض بإيمان قوم يونس ، فإنّ الله تعالى قَبِلَ إيمانهم حال البأس ، لقوله تعالى :﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أي ما ثبت في الزمان السابق جماعة قرية ﴿ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾[8] أجيب بأنّ إيمانهم لم يكن حال البأس ، لأنّ الله تعالى أراهم علامة

---

[1] البقرة 286
[2] الإلمام بأحاديث الأحكام 1/120 ، وفيه : حتى يبلغ .
[3] غافر 85
[4] البقرة 2-3
[5] النساء 18 ، والآية بتمامها [وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا] .
[6] يونس 90
[7] يونس 91
[8] يونس 98

العقوبة ؛ ليؤمنوا ويطيعوا أمره تعالى ، فهو بمنزلة رفع الجبل على قوم موسى ؛ لامتثال أمر التوراة ، والعمل بها ، وإلاّ في الآية بمعنى لكن ، لا للاستثناء ، ولكن ﴿قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا ....﴾ ، الآية ، فيكون إيمانهم باختبارهم ، فترتب عليه كشف العذاب عنهم ، وإنما قيل الإيمان ، لأنّ توبة المؤمن عن المعاصي مقبولة حال البأس لسبق معرفة ربه / 25 ب وأمَّـا الكافر ، فلا معرفة له بربه حتى يستيقظ عند البأس، فيُردّ إيمانه عليه .

وَمَا أَفْعَالُ خَيْرٍ فِي حِسَابٍ مِنَ الْإِيمَانِ مَفْرُوضَ الْوِصَالِ

أي ليست الأعمال الحسنة في حساب من الإيمان حال كونه مفروضا وصاله بالأعمال في الوجود ، لأنّ الأعمال الصالحة بدون الإيمان كالعدم ، وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله ، وحجتهم أنّ الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب ، وهو معنى لا يقبل الزيادة والنقصان ، ولأنّ الله تعالى عطف الأعمال على الإيمان بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[1] ، والمعطوف غير المعطوف عليه ، ولأنه شرط صحة الأعمال ، كما قال الله تعالى :﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾[2] ، والشرط غير المشروط ، فلا تُعَدُّ الأعمال من الإيمان ، وأمَّـا الآيات الواردة في زيادة الإيمان ، كقوله تعالى :﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[3] ، وقوله : ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[4] ، وغير ذلك من الآيات فمأوّل بزيادة أنوار الإيمان وثمراته ، ومذهب مالك والشافعي ، وأهل الحديث الأعمال الحسنة من الإيمان ، وحجتهم الآيات الدالة على زيادة الإيمان ، وقوله تعالى :﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[5] ، أي صلاتكم إلى بيت المقدس ، وقوله عليه السلام [الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُها قَوْلُ لا إِلَهَ إِلاَّ الله محمد رسول الله وأدْنَاها إماطَةُ الأَذى عنِ الطَّرِيقِ][6] ، وأجابوا عن الآيات بما مرّ ، وعن قوله : ﴿لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ بتأويل إيمانكم بالصلاة ، وعن الحديث ، بأنّ شعب الإيمان بضع وسبعون شعبة ، لأنّ / إماطة الأذى ليست بداخلة فيه اتفاقا . 26أ قوله : ما بمعنى ليس ، وأفعال خير ، اسمه ، إضافة الأفعال إضافة الموصوف إلى الصفة ، مثل : مسجد الجامع ، وقوله : في حساب ، منصوب المحل خبر ما ، وفيه ضمير يرجع إلى أفعال خير ، ومن الإيمان متعلق بالحساب ، وهو العدّ[7] ، وقوله : مفروض الوصال بالنصب

---

1 البقرة 277 ، يونس 9 ، هود 23 ، الكهف 30 ، 107 ، مريم 96 ، لقمان 8 ، فصلت 8 ، البروج 11 ، البينة 7
2 طه 112
3 الفتح 4
4 الأنفال 2
5 البقرة 143
6 الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ، للسيوطي 1/472
7 في ب : العدد .

حال من الإيمان كما ذكرنا ، وقيل من الضمير في قوله : في حساب ، والأصل مفروضة الوصال بالتاء ، إلاّ أنه ترك بتأويل المذكر ، وفيه نظر ، لبعده عن الأصل المستمر بوجهين فتأمل .

وَلاَ يُقْضى بِكُفْرٍ وَارْتِدَادٍ بِعهْرٍ أَوْ بِقَتْلٍ وَاخْتِزَالِ

أي لا يُحكم بكفر أحد وارتداده عن دين الإسلام بعهر ، وهو الزنا ، أو بقتل مَن لا يحل قتله من الذكر والأنثى ، أو باختزال عضو منه ، وهو القطع ظلما ، وقيل : المراد من الاختزال هو الغضب ، يعني بارتكاب الكبائر ، لا يحكم بكفر أحد عند أهل السنة والجماعة ، خلافا للخوارج ، فإنهم قالوا يُكفَّر بالكبيرة والصغيرة ، وخلافا للمعتزلة ، فإنهم قالوا : مرتكب الكبيرة ليس بكافر ، ولا مؤمن ، بل فاسق ، يُخلّد في النار لو مات على فسقه بلا توبة ، حجة أهل الحق ، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾[1] ، والقتل الموجب للقصاص كبيرة ، فصاحبها خوطب بالإيمان ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[2] ، فإنه يدل على من مات بغير توبة من أهل الكبائر يغفر [له] ، دون أهل الشرك ، فبالكبيرة لا يخرج من الإيمان ، وشبهة أهل الباطل قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾[3] ، والخلود فيها مُسبب عن الكفر ، قلنا المراد من الخلود / طول المكث ، نقلا عن أئمة التفسير ، أو **26 ب** المراد حقيقة الخلود إنْ استحلّ قتله ، لأنه يُكفّر باستحلال الحرام .

قوله : لا يُقضَى ، مجهول ، وبكفر ، قائم مقام الفاعل ، والباء للإصاق ، وقوله : بعهر ، متعلق بالفعل المجهول ، والباء للسببية .

وَمَنْ يَنْوِ ارْتِدَادًا بَعْدَ دَهرٍ يَصِر عَنْ دِينِ حَقٍّ ذَا انْسِلاَلِ

أي مَن يقصد بقلبه ارتدادا عن دين الإسلام في وقت من أوقات عمره يَصِر ، أي يرجع البتة عن دينه الحق في حال النيَّة ، ذا انسلال ، أي صاحب خروج وانصراف ، لأنّ نيّة الكفر تُزيل نيّة التصديق ؛ لامتناع اجتماع الضدين ، فيصير كافرا ، وإنْ لم يجر لفظ الكفر على لسانه ، والمراد من هذه النيّة العزم ، لا الخطور ، لأنّ مَن خطر في قلبه الكفر ، أو سبب من أسبابه لا يكفر ، لأنّه ليس ذلك في وسعه ، فلو خطر بحيث خاف أنْ يُظهره بلسانه كان مُثابا ، لأنه عين الإيمان ، ولذا قيل : عزم المؤمن أنْ يكفر ، ولو بعد سنين ، يُخرجه عن الإيمان في الحال ، لأنه استحلّ الكفر ، واستحلال المعصية كفر ، فلا يجوز أنْ يقول :

---

[1] البقرة 178
[2] النساء 48 ، 116
[3] النساء 93

أنا مؤمن إنْ شاء الله ، على وجه الشك ، لا في الحال ، ولا بحسب حال موته ، لأنّ الشك يُنافي التصديق ، وأمَّــا ذكره على وجه التبرك فيجوز عند الشافعي ، دون أبي حنيفة رحمة الله عليه ، لأنّ وضع هذه الكلمة على التشكيك ، ولهذا أجمعا أنها تُبطل اليمين ، والطلاق ، والعتاق ، والبيع ونحوها ، وأمَّــا عزم الكافر أنْ يؤمن فلا يخرجه عن كفره ما لم يؤمن ، لتعذر اعتقاده عليه ، فلا يجتمع مع الإيمان ، ومَن في قوله : مَن ينوِ ، شرطية ، وعلامة الجزم سقوط الياء مِن ينوي ، وقوله : يَصِرِ ، بالجزم ، جزاء الشرط ، وقوله : ذا انسلال ، خبر صار .

/ وَلَفْظُ الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ بِطَوْعٍ رَدُّ دِينٍ بِاغْتِفَالِ

27أ

أي مَن أجرى على لسانه لفظ الكفر من غير أنْ يعتقد أنه كفر بجهله به ، بطوع ، أي باختيار من نفسه ، لا بإكراه من آخر ، ردّ دينه ، أي أزال إيمانه عن قلبه ، باغتفال ، أي بسبب شدة الغفلة ، وعليه فتوى مِن أئمة بخارى وسمرقند ، تغمدهم الله بغفرانه ، لأنه لا يُعذر بالجهل ، فلا بدّ أنْ يستغفر ، ويُجدد الإيمان والنكاح والأعمال الصالحة من الفروض ، فقوله : من غير اعتقاد ، يُشعر على أنه لو أجرى لفظ الكفر على لسانه بالاعتقاد يكفر بالاتفاق ، ولو سبق لفظ الكفر على لسانه من غير أنْ يعتقده ، على سبيل الخطأ ، لا يكفر بالاتفاق .

قوله : بطوع ، يتعلق بلفظ الكفر ، والباء بمعنى مع ، وهو احتراز عن الإكراه ، فإنّ فيه تفصيلا : إنْ أُكره بالقتل ، أو بإتلاف عضو من أعضائه ، أو بإيلام شديد ، لا يكفر ، حال كون قلبه مطمئنا بالإيمان ، وإنْ أُكره بحبس ، أو بقيد ، أو بإتلاف مال ، يكفر بالاتفاق ، ويحبط عمله ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾[1] ، وينبغي أنْ يدعو المؤمن صباحا ومساء بهذا الدعاء ، بالتضرع والابتهال : (اللهم إني أعوذ بك من أنْ أُشرك بك شيئا وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم ، إنك أنت علاّم الغيوب) .

وَلاَ يُحْكَمْ بِكُفْرٍ حَالَ سُكْرٍ بِمَا يَهْذِي وَيَلْغُو بِارْتِجَالِ

أي لا يُحكم على مَن شرب الخمــر وسكِر ، وأجرى كلمة الكفر على لسانه حالة السُكر بكفره ، وهي حالة تعرض بين الشخص وعقله، وحدّ السكر أنْ يختلط كلامه، ولا يستقيم ، وقيل : أنْ لا يعرف / الأرض من السماء ، ولا يُفرق بين الخير والشر ، فلو عرف 27 ب أو فرّق يحكم بكفره ، فيترتب عليه أحكامه ، بما يهذي ، أي يُفحش ، الباء للسببية ، وما مصدرية ، والجار والمجرور متعلق بقوله : لا يُحكم ، وهو فعل منهي بالجزم مجهول ،

[1] المائدة 5

وقوله : بكفر قائم مقام الفاعل ، ويلغو ، أي يتكلم بما لا عبرة له في الشرع ، والارتجال هو التكلّم بالبديهة ، يعني من غير فكر ، وهو ــ أعني بارتجال ــ يتعلق بقوله يهذي ، أويلغو ، لا بقوله لا يُحكم ، لبعده عنه لفظا ومعنى ، فالحاصل أنّ السكران عند الشيخ لا يكفر بلفظ الكفر ، لِما روي أنّ صحابيا سكر ، ودخل وقت صلاة المغرب فأمَّ القوم ، وقرأ سورة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ إلى آخرها ، وترك منها كلمة ﴿لاَ﴾ ، وبتركها يكفر المؤمن العاقل ، مع أنّ الله تعالى خاطبه بلفظ المؤمن في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ الآية [1]، فعلم أنه لا يكفر بإجراء كلمة الكفر على لسانه حال السكر .

وَمَا المَعْدُومُ مَرْئِيّاً وَشَيْئاً　　　لِفِقْهٍ لاَحَ فِي عَيْنِ[2] الهِلالِ

أي ليس المعدوم مرئيا لله تعالى حالة العدم ، لِعِلمٍ ظهر لنا في الهلال المبارك ، وهو الطالع أول الشهر بالدقة[3] من القمر إلى ثلاث ليال ، ثم يُسمّى القمر إلى آخر الشعر ، والهلال في اللغة الصوت ، وإنما سُمي به ؛ لأنّ الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته ، والإضافة في عين الهلال من باب إضافة الصفة إلى موصوفها ، كأخلاق ثياب ، في تأويل ثياب أخلاق ، كما تحقق في النحو، وإنما قال الفقه لاح في عين الهلال ، لأنّ الهلال قبل الطلوع / كان 28أ معدوما ، غير مرئي ، ولا يُرى ما يُزاد عليه من النور يوما فيوما حالة العدم ، مع كون النور أظهر الأشياء المُبْصَرة بالعين ، فلما لم يُرَ ، عُلِم انتفاء رؤيته ، لانتفاء علته ، وهو الوجود ، إذ الوجود شرط في الرؤية ، كما تحقق من قبل ، فلمَّـا كان هو علة في الشاهد ، كان علة أيضا في الغائب ، لامتناع تبدُّل العلة بالغائب والشاهد .

وإذا عرفت هذا فاعلم أنّ المعدوم على نوعين : معدوم ممتنع ، ومعدوم ممكن ، والأول ما يكون وجوده مُحالا ، وعدمه واجبا ، كشريك الباري تعالى ، واجتماع النقيضين ، والثاني ما الوجود والعدم بالنسبة إليه سواء ، والرؤية لا تتعلق بالنوع الأول باتفاق أهل الشرق والغرب ، ولا يُطلق على شيء أيضا ؛ لامتناع ثبوته بوجه من الوجوه ، وهذا أيضا متفق عليه ، واختلفوا في تعلّق الرؤية بالنوع الثاني قبل وجوده ، وفي إطلاق اسم الشيء عليه . قال أهل السنة والجماعة : يمتنع تعلّق الرؤية ، لأنّ علة الرؤية الوجود ، وهو منتف ، فلا يكون مرئيا ، ولأنّ حال العدم من حيث هو هو لا يتفاوت بالرؤية وعدمها ، فإذا امتنعت الرؤية بالمعدوم الممتنع بالاتفاق ، يلزم أنْ يمتنع في المعدوم ، الذي لا يستحيل وجوده

---

[1] النساء 43 ، والآية بتمامها [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا] .

[2] كتب : يُمْن ، وما أثبتناه من ب .

[3] في ب : بالرقة .

لعدمه في الحال ، فحينئذ يستحيل إضافة رؤيته إلى الله تعالى ؛ خلافا للسالمية[1] ، والمقنعية[2]، فإنهم قالوا : العالَم مرئي لله تعالى قبل وجوده في الأزل، وهو باطل لما علمت ، ولأنه يلزم القول بقدم العالَم ، ولأنّ قوله تعــالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾[3] يدل على أنّ عملهم قبل الوجود غير مرئي لله تعالى / وإلاّ لم يفد قوله 28ب ﴿ فَسَيَرَى اللَّهُ ﴾ .

وكذا اختلفوا في جواز إطلاق الشيء على المعدوم الممكن ، قال أهل السنة والجماعة : لا يجوز إطلاقه عليه ، لأنّ الشيء مرادف الموجود ، بدليل قوله تعالى في قصة زكريا عليه السلام : ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾[4] فإنه قبل الخلق كان معدوما يقينا ، وقد سُلِب عنه اسم الشيء بقوله ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ ، وأمّــا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[5] ، فلصدق وعده تعالى ، نزل منزلة الموجود ، فيكون مجازا ، لا حقيقة ، وهذا جواب عن تمسّك المعتزلة على أنّ المعدوم شيء بهذه الآية .

وَدُنْيَانَا حَدِيثٌ وَالْهَيُولَى عَدِيمُ الْكَوْنِ فَاسْمَعْ بِاجْتِزَالِ

قال أهل السنة والجماعة : العالَم بجميع أجزائه ، وهو الدنيا مُحدث ، خلافا للفلاسفة ، فإنهم قالوا : إنه قديم ، قلنا : إنّ العالَم جواهر وأجسام ، وهي تخلو عن الأعراض ، كالحركة والسكون ، وهي حادثة ؛ لأنّ العرض لا يبقى زمانين ، وكل ما لا يخلو عن الحوادث ، فهو حادث ، فالعالَم حادث بإحداث الله تعالى ، لا للعبث والفناء ، بل خلقه للتكليف والابتلاء ، ليظهر آثار عدله وفضله وقهره ورحمته ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[6] ، وقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

---

[1] السالمية: ويقال لها أيضا « الجواليقية » وهم أصحاب هشام بن سالم الجواليقي ، وهم في الإمامية كالحكمية، وفي الاعتقاد مختلفون: فالحكمية يقولون: إن الله عزوجل جسم طويل عريض عميق متساوى الأبعاد غير مصور بالصور المتعارفة، وهم يقولون جسم مصور بصورة الانسان، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وقد ظهرت سنة مائة وثلاث عشرة .
هشام بن سالم الجواليقي العلاف، زعم أن معبوده على صورة الإنسان. الفرق بين الفرق: ص 216؛ الملل والنحل: 1/185. وهو من ثقات الرواة عن الصادق عند الإمامية قال عنه النجاشي: « ثقة ثقة ». رجال النجاشي: 2/339، وذكره الكشي في رجاله: ص 281..

[2] المقنعية : فرقة من الشيعة ، أصحاب المقنع الخراساني، من أهل مرو وكان يعرف شيئا من السحر، فادعى الربوبية من طريق المناسخة، يقال إنه اتخذ قناعا من ذهب لقبحه، تبعه خلق كثير، وقتل سنة 163هـ. تاريخ الطبري: 4/560 وما بعدها؛ وفيات الأعيان: 3/263.ٰ وهم يعتقدون أن المقتع إله بعد الإمام الحسين ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. الفرق بين الفرق ، ص 215

[3] التوبة 105

[4] مريم 9

[5] الحج 1

[6] المؤمنون 115

بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[1]، أي لإظهـــار الحق ، وقال الفلاسفة : الهيولَى[2] أصل العالم ، وهي قديمة ، والعالم صورتها ، وهي لا تنفك عنها ، وكذا الصورة لا تنفك عن الهيولى ، فيكون العالَم قديما ، والتغيير فيه بحسب الأعراض الحادثة ، لأنّ الحادث ما كان مسبوقا بالعدم ، فيكون حدوثه / زمانيا ، والحدوث الزماني يقتضي تقدم مادة ومدّة ، أمَّـــا الأول فلأنّ 29أ إمكان الحادث موجود قبله ، فيكون له محل غير الحادث يقوم به لأنه عرض ، وهو المادة ، وهي الهيولي ، وأمَّـــا الثاني ، فلأنه عدم الحادث قبل وجوده بالزمان ، إذ هذا التقدم ليس بالعليّة ، ولا بالذات ، ولا بالشرف ، ولا بالمكان ، كتقدم حركة الأصبع على حركة الخاتم ، وتقدم واحد على الاثنين ، وتقدّم العالِم على المتعلم ، وتقدم الإمام على المأموم ، فهو بالزمان ، كتقدم الأب على الابن هو المدة ، وأُجيب بأن الإمكان عدمي ، لا يستدعي قبل وجود الحادث محلا موجودا في الخارج ، وبأنّ القبليَّة قد تكون بغير ما ذكر ، كقبلية اليوم على الغد ، فإنها قبلية بعض أجزاء الزمان على البعض ، وهي ليس بالزمان ، وإلاّ لكان للزمان زمان آخر ، وهو ممتنع ، فعلى هذا لا يكون للهيولى كون ، أي وجود ، ولذا قال الشيخ : عديم الكون فاسمع باجتزال ، أي بفرح القلب وانشراحه ، لأنّ الله تعالى فاعل بالاختيار ، لا موجب بالذات ؛ حتى يلزم قدم العالَم .

وَإِنَّ السُّحْتَ رِزْقٌ مِثْلَ حِلٍ وَإِنْ يَكْرَهْ مَقَالِي كُلُّ قالِ

أي أنّ الحرام رزق من الله للعباد ، مثل الحلال ، وإنْ يبغض مقالي كل عدو للحق ، قال أهل السنة والجماعة : كل ما يأكل الإنسان من الحلال والحرام رزقه المقدر له ؛ خلافا لأهل الاعتزال ، فإنهم قالوا : الحرام ليس برزق للإنسان ، والاختلاف فيه بناء على أنّ الرزق عندنا هو الغذاء المقدّر للحي المغتذي ، فما قدّره الله تعالى أنْ يكون غذاء لحيوان مُعيّن ، لا يصير غذاء لغيره ، سواء مَلَكَه ، أو لم يملكه ، وعندهم الرزق / اسم للمِلْك ، 29 ب تمسكا بقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾[3] ، أي مما ملّكناهم ، قلنا : الرزق هنا مُفسر بالتقدير من الغذاء ، وهو غير التمليك ، وما ذكروا فيه من أنّ الأصلح للعبد أنْ يُقدَّر له الحلال دون الحرام ، وإلاّ لكان ظلما ، غير مُسلّم لما بيّنا أن لا إيجاب عليه تعالى ، وإلاّ لكان فوقه موجب ، وهو محال، وأيضا لو كان الرزق هو المِلْك لما رزق الدواب ؛ لانتفاء أهلية التمليك عنها ، لكنها رزقت لقوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[4] .

---

[1] الحجر 85

[2] الهَيُول: الهَبارُ المنبثُّ وهو ما تراه في البيت من ضَوْء الشمس يدخل في الكُوَّةِ، عبرانية أو رومية معربة . لسان العرب (هيل) .

[3] البقرة 3 ، الأنفال 3 ، الحج 35 ، القصص 54 ، السجدة 16 ، الشورى 38

[4] هود 6

وَلِلدَّعَوَاتِ تَأْثِيرٌ بَلِيغٌ   وَقَدْ يَنْفِيهِ أَصْحَابُ الضَّلاَلِ

أي لأدعية الصلحاء والزهاد وعامة المؤمنين ، لأحيائهم ، وأمواتهم تأثير تام ، ومنفعة عظيمة ؛ لإيصال الثواب إلى أرواحهم ، ولرفع العذاب والعقوبة عنهم ، وقد ينفيه أصحاب الضلال والشقاوة ، وهم أهل الاعتزال ، فإنهم قالوا : ما قدّر الله يكون ، وما لم يُقدّر لا يكون، فلا فائدة في الدعاء ، وهو باطل بالآية ، وأخبار النبي عليه السلام ، قال الله تعالى : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾[1] ، أي فليطيعوني قبل الإجابة ، بمعنى الثواب لدعاء الداعي ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2] ، أي يتعظمون عن دعائي ، بدلالة سياق الكلام ، وقال عليه السلام : [الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ][3] ، وقال أيضا : [مَا مِنْ رجل مسلم يَدْعُو الله بدعوة ، إلاَّ آتَاهُ اللهُ إياها ، وَكَفَّ عَنْهُ مِنَ الشرِّ مِثْلَهَا ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ][4].

وشرط الدعاء طِيْب المطعم، وإخلاص النية ، وإحضار القلب / لأنّ الله تعالى لا يستجيب
30 الدعاء من قلب لاهٍ ، وختم كل دعاء بصلاة على النبي عليه السلام سُنّة سَنِيَّة ، وشفيعة له في القبول .

وَفِي الْأَجْدَاثِ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّي   سَيُبْلَى كُلُّ شَخْصٍ بِالسُّؤّالِ

أي كل شخص ، كبير أو صغير ، ذكر أو أنثى سيُمتحن بالسؤال عن توحيد الله تعالى ، في أجداث ، جمع جَدَث ، أي في القبور ، فيجب الاعتقاد بحقيقته قطعا به ، لورود الأخبار الصحاح فيه ، قال عليه السلام بعد دفن الميت في عهده : [اِسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ][5] ، وقال أيضا : [إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ ، فيسألانه مَن ربك ؟ وما دينك ؟] الحديث[6] ، قيل : هذا السؤال لكل عاقل يموت من الإنس والجن ، والشياطين ، والأنبياء ، ويُقال لهم : على ما تركتم أمتكم ؟

---

1 البقرة 186

2 غافر 60

3 المسند الجامع 3/484

4 المسند الجامع 9/180 ، ونصه فيه : (مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ ، إِلاَّ آتَاهُ اللهُ مَا سَأَلَ ، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهُ ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ).

5 المسند الجامع 29/206 ، ونصه فيه : (كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ ، وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ).

6 المسند الجامع 41/83 ، والحديث بتمامه : (قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:
إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ ، أَوْ قَالَ : أَحَدُكُمْ ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا : الْمُنْكَرُ ، وَالآخَرُ النَّكِيرُ ، فَيَقُولاَنِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولاَنِ : قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيه ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : نَمْ ، فَيَقُولُ : أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ ، فَيَقُولاَنِ : نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لاَ يُوقِظُهُ إِلاَّ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ ، لاَ أَدْرِى ، فَيَقُولاَنِ : قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ : الْتَئِمِي عَلَيْهِ ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلاَعُهُ ، فَلاَ يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ).

ولكن نتوقف في كيفية حياة الميت في قبره ، هل يُعاد روحه في جسده ، كما كان في حال حياته ، أو يخلق فيه الحياة بقدر ما يفهم السؤال ، ويُجيب ؟ لعدم ورود الدليل اليقيني فيه ، قيل : يُسأل مَن أكله السبُع، أو أُحرق، أو أُغرِق ، ويُعذّب كما يُعذّب في القبر ، وقيل أيضا : إنّ الأنبياء لا يُسألون ، لأنّ غير النبي يُسأل عنه النبي ، فكيف يُسأل هو عن نفسه ؟ ويُسأل أطفال المسلمين اتفاقا ، وتوقف أبو حنيفة رحمه الله في سؤال أطفال الكفرة ، ودخولهم الجنة ، وغيره حكم بذلك ، ليكونوا خُدَّاما وغلمانا لأهل الجنة .

وقوله : وفي الأجداث متعلق بقوله سيُبلى ، وعن توحيده متعلق بالسؤال .

وَلِلْكُفَّارِ وَالْفُسَّاقِ بَعْضاً   عَذَابُ الْقَبْرِ مِنْ سُوءِ الْفِعَالِ

/ أي عذاب القبر حق لجميع الكفار إلى النفخة الأولى ، ولبعض الفُسَّـــاق الذين 30 ب ماتوا من غير توبة مقدار الحياة للسؤال والجواب ، وقيل مقدار صحة البدن ، وقيل : إلى البعث ، ولو صار ذرة لأجل سوء أفعالهم ، خلافا للمعتزلة ، قلنا : قوله عليه السلام : [الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ , أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ] [1] ، وقوله أيضا : [تعوّذوا بالله من عَذَابِ الْقَبْرِ][2] ، وقوله أيضا : [استنزهوا من الْبَوْلِ ؛ فَإِن عَامَّة عَذَاب الْقَبْر مِنْهُ][3] .

وقوله تعالى في حقّ آل فرعون ومَن مثلهم : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[4] ، وقوله : ﴿ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾[5] .

قوله : للكفار خبر المبتدأ ، وهو عذاب القبر ، وقوله : بعضا ــ بالعين المهملة ــ حال من الفُسَّــاق، ومن قرأ بُغضا ــ بالغين المعجمة ــ وصححه بإيقاعه تمييزا للتعذيب، فقد أخطأ ، لعدم الإبهام، فتأمّل ، ومِنْ في قوله : مِن سوء الفعال ، بمعنى لأجل ، متعلق بثبوت الحكم .

حِسَابُ النَّاسِ بَعْدَ الْبَعْثِ حَقٌّ   فَكُونُوا بِالتَّحَرزِ عَنْ وَبَالِ

أي بعث يوم القيامة حق ثابت ، وهو إعادة المعدوم ؛ لأنها من الممكنات ، وكل ممكن مقدور الله تعالى ، والدلائل السمعية وردت بحقيقتها ، فيجب علينا الإيمان بها ، خلافا للدهرية[6] ، فإنهم أنكروا القيامة والحشر ، والفلاسفة أنكروا حشر الأجساد ، وأقرّوا بحشر

---

[1] في أ ، ب : النيران ، وما أثبتناه من المسند الجامع 14/434 .
[2] البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير 4/44
[3] البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير 2/323
[4] غافر 46
[5] نوح 25
[6] قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا [الجاثية:24].ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة. وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة. وتقوله الفلاسفة الدهرية (الدورية) المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى،

الأرواح بلا أجساد ، ومذهبهم باطل ، لقوله تعالى في ردّ قول الكافر الذي قال : ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[2] / وقوله أيضا : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * 31أ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[3] ، وبعد البعث حساب جميع الناس حق ، لا يجحده إلاّ الكفور المعاند ، لقوله تعالى :﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾[4] ، وقوله أيضا : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[5]، وقوله عليه السلام : [من نُوقِشَ فِي الْحساب يهلك][6] ، والمراد منه الاستقصاء في حساب القليل والكثير ، وهو أعسر الحساب ، فكونوا بالتحرز عن وبال، أي عن الإنكار الموجب للخلود في النار ، أو عن الإثم الذي يكون بين العبد ومثله ، فإنه لا يُرجى العفو عند الحساب ، لكونه حقا لغيره يوم القيامة ، فيجب الاحتراز عنه ، بخلاف ما بين العبد وبين الله تعالى ، فإنه يُرجى العفو ، فلا يُسأل ، ولا يُحاسب ، هكذا قيل ، والحق أنّ الحساب والسؤال يوم القيامة حق ، سواء كان بين الله تعالى وعبده ، أو بين العبد وغيره ، لقوله تعالى : ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾[7] ، وقوله عليه السلام : [مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ ويسأله رب العالمين ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ ، وَلاَ تُرْجُمَانٌ فيقول الله : أَلَـمْ أُوتِكَ مَالاً ؟ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولاً ؟ فيقول العبد : بَلَى][8] ، وفي روايـة [يا ابن آدم ! ما غرك بي ؟ يا ابن آدم ! ماذا عملت فيما علمت ؟ يا ابن آدم ! ماذا أجبت المرسلين ؟][9] .

فكابروا المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا: وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ، قال الله سبحانه: وَمَا لَهُمْ بِـذَلِكَ مِـنْ عِلْـمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ [الجاثية:24]، أي يتوهمون ويتخيلون.

فأما الحديث الذي أخرجه صاحبا الصحيح، وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الـدهر، بيـدي الأمـر، أقلـب الليـل والنهـار. وفي رواية: لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر. وفي رواية: لا يقل ابن آدم: يا خيبـة الـدهر، فـإني أنـا الـدهر، أرسل الليل والنهـار، فـإذا شئت قبضـتهم. قـال فـي شـرح السـنة: حـديث متفق علـى صحته، أخرجـاه مـن طريق معمر من أوجه عنأبي هريرة قال: ومعناه أن العرب كـانت مـن شـأنها ذم الـدهر وسبه عند النـوازل، لأنهم كانوا ينسبون إليـه مـا يصـيبهم مـن المصـائب والمكـاره، فيقولـون: أصـابتهم قـوارع الـدهر، وأبـادهم الدهر، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها، فكان مرجع سبها إلى الله- عز وجـل، إذ هـو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها، فنهوا عن سب الدهر.

1 يس 78 - 79
2 المؤمنون 115
3 القيامة 3-4
4 الغاشية 25 - 26
5 إبراهيم 41
6 تخريج أحاديث الكشاف 4/177 ، وفيه (من نُوقِشَ فِي الْحساب عُذب) .
7 الأعراف 6
8 انظر المسند الجامع 29/295 ، واللفظ مختلف .
9 تحفة الأشراف 7/70

وَتُعْطَى الْكُتْبُ بَعْضًا نَحْوَ يُمْنَى وَبَعْضًا نَحْوَ ظَهْرٍ والشِّمالِ

أي ويعطي الله للمؤمنين كتابهم باليمين ، وللكافرين بالشمال ، أو من وراء ظهورهم ، لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾[1] ، وقوله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾[2] ، وقوله :﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[3] ، فثبت أنّ تطاير الكتب ، وقراءتها حقّ لا يُنكره إلاّ الكافر بالقرآن الكريم ، والتنوين في (بعضاً) عوض عن المضاف إليه ، أي بعض الناس ، وهو المفعول الثاني للإعطاء ، ولا تنوين في يُمنى ، لأنه كحُبلى في عدم الانصراف ، وتقديره جرّ بإضافة نحو إليه ، وهو نصب على الظرف ، لأنه بمعنى الجهة .

وَحَقٌ وَزْنُ أَعْمَالٍ وَجَرْيٌ عَلَى مَتْنِ الصِّرَاطِ بِلاَ اهْتِبَالِ

أي وزن أعمال الناس من المؤمنين ، الذين خلطوا عملا صالحا بالعمل السيّئ ، حق ثابت بآيات القرآن ، وأخبار الرسول عليه السلام ، كقوله تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ الآية [4] ، والمراد بالوزن ما يعرف به مقادير الأعمال من حيث الخفّة والثقل ، لأنه عرض ، لا يبقى ، فلا وصف بهما ، فيُحمل ما جاء منهما على القلة والكثرة .

وفي كيفيّة الوزن نتوقّف ، لقصور العقل عن إدراكه ، وعدم الأثر فيه ، فنؤمن به ، ونفوّض علمه إلى الله تعالى ، وقيل : توزن أعمالهم الحسنة على صور حِسان ، وأعمالهم القبيحة على صور قِباح ، فإنْ رجحت كفّة الحسنات في الميزان ، يدخل صاحبها الجنة ، بلا عذاب ، وإنْ رجحت كفة السيئات ، فحكم صاحبها في مشيئة الله تعالى ، إنْ شاء يُعذبه بقدر جناية الراجحة ، ثم يدخل الجنة ، ويعطيه/ مثوبات أعماله الحسنة ، بقدر منزلته عند 32 أ الله ، وإنْ شاء يعفو بكرمه ، أو بشفاعة شفيع مرضيٍّ عنده ، وإنْ استوت الكفتان يُحبس مُدة على الأعراف[5] ، ثم يدخل الجنة برحمته ، على ما ورد في الأخبار ، وهذا الوزن

---

[1] الانشقاق 7- 12
[2] الحاقة 25 - 26
[3] الإسراء 14
[4] الأعراف 8 - 9 ، وتمام الآية التاسعة [فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ] .
[5] الناس إذا كان يوم القيامة انقسموا إلى ثلاثة أقسام: قسم ترجح حسناتهم على سيئاتهم فهؤلاء لا يعذبون ويدخلون الجنة، وقسم آخر ترجح سيئاتهم على حسناتهم فهؤلاء مستحقون للعذاب بقدر سيئاتهم ثم ينجون إلى الجنة، وقسم ثالث سيئاتهم وحسناتهم سواء ، فهؤلاء هم أهل الأعراف ، ليسوا من أهل الجنة ، ولا من أهل النار ، بل هم في مكان برزخ عالٍ مرتفع يرون النار ويرون الجنة، يبقون فيه ما شاء الله وفي النهاية يدخلون الجنة، وهذا من تمام عدل الله سبحانه وتعالى أن أعطى كل إنسان ما يستحق، فمن ترجحت حسناته فهو من أهل الجنة، ومن ترجحت سيئاته عذب في النار إلى ما شاء الله، ومن كانت حسناته وسيئاته

لإظهار عدله وفضله ، لا لاحتياجه إلى التعرّف ، لأنّ علمه تعالى محيط بالموجودات والمعدومات ، وكل مَن ليس له سيئة يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب ، ولا وزن ، وكل مَن ليس له حسنة يُساق إلى جهنم ، بلا وزن ، ويُنادى عليهم : إنهم أشقياء بشقاوة لا سعادة بعدها ، وكذا جريُ الناس ، أي مرورهم على متن السراط ، وهو جسر جهنم ، حقّ بالآيات والأخبار ، بلا اهتبال ، أي بلا اختيار ، على قدر تفاوت أعمالهم في الدنيا ، فيجوز أهل الجنة ، وتزل فيه أقدام أهل النار ، قال عليه السلام : [يمر الناس على جسر جهنم ، وعليه حسك، وكلاليب ، وخطاطيف، تختطف الناس يمينا وشمالا ، وعلى جنبيه ملائكة يقولون : اللهم سلِّم سلم . فمن الناس من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالفرس الذي يعدو، ومنهم من يسعى سعيا ، ومنهم من يمشي مشيا ، ومنهم من يحبو حبوا ، ومنهم من يزحف زحفا ، ومنهم من يكدس ثم ينجو][1] أي لا يقع في النار بسبب نور إخلاصه ، وكلّ يُعطى نورا بقدر عمله [فمنهم مَن يُعطى نورا مثل الجبل العظيم ، ومنهم من يُعطى أصغر من ذلك ؛ حتى يكون آخرهم على قدر إبهام قدميه ، فيضيء مرة وينطفئ أخرى][2] .

قوله : وحق ، خبر المبتدأ ، وهو وزن أعمال ، وجريٌ بتنوين العوض عن المضاف إليه ، عطف على المبتدأ ، وخبره كذلك مقدرا .

/ وَمَرْجُوٌّ شَفَاعَةُ أَهْلِ خَيْرٍ لِأَصْحَابِ الْكَبَائِرِ كَالْجِبَالِ

32ب

قال أهل السنة والجماعة : يُرجى أنْ يشفع أهل الخير والصلاح ، كالأنبياء والأولياء لمن ارتكب الكبيرة العظيمة ، كالجبل العظيم من المؤمنين ، خلافا للمعتزلة ، حجتهم أنّ العفو ممتنع من الله تعالى لأهل الكبائر ، فالشفاعة أولى أنْ تكون ممتنعة ، إذ لا فائدة لها ، قلنا : إنْ جاز عفو الله تعالى من غير واسطة ، فأولى أن يجوز بشفاعة النبي عليه السلام ، وبشفاعة الأخيار ، لقوله تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[3] ، وكـذا قـوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[4] ، وقوله عليه السلام : [شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي] [5] ، وقوله عليه السلام : [أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ

متساوية فهو من أهل الأعراف لكنها ـأي الأعراف ـ ليست مستقراً دائماً، وإنما المستقر: إما إلى الجنة، وإما إلى النار، جعلني الله وإياكم من أهل الجنة .

[1] تخريج أحاديث الإحياء 4/234

[2] تخريج أحاديث الإحياء 3/8

[3] آل عمران 159

[4] محمد 19

[5] المسند الجامع 4/434

اللّهُ ، خَالِصاً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ][1] ، فهذه كلها دالة على ثبوت شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام لعصاة أمته يوم الجزاء ، ولو كانت ذنوبهم عظاما كالجبال ، ويجوز لغير النبي عليه السلام من المؤمنين ، كأهل الولاية من العلماء بالله تعالى ، وهم أصحاب الخشية من الله تعالى ، كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[2] وفسروها بالشفاعة ، وقوله عليه السلام : [الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ][3] ، فإنهم شرحوا الإرث بدعوة الخلق إلى الحق ، والشفاعة لهم عند ابتلائهم ، ولقولـــه عليه السلام : [يدْخُل الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِى أَكْثَرُ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ][4] ، وغير ذلك من الأحاديث الدالة على شفاعة بعض المؤمنين لبعض .

وَذو الْإِيمَانِ لاَ يَبْقى مُقِيمًا   بِسُوءِ الذَّنْبِ فِي دَارِ اشْتِعَالِ

قال أهل السنة والجماعة : مَن ارتكب الكبيرة من أهل الإيمان ، لا يخرج من الإيمان ، وعند المعتزلة / يخرج منه ، فعلى هذا يخلد في النار عندهم ، ولا يخلد عندنا بشؤم ذنبه 33 أ لقوله تعالى :﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ الآية[5] ، وأقل خير هو الإيمان بالله ورسوله ، والكتاب المنزل ، فيجب أنْ يرى ثوابه في الجنة ، وذلك إنما هو بعد الخلاص من النار ، لأنّ الثواب قبل العذاب منتفٍ بالاتفاق ، فثبت أنّ المؤمن العاصي لا يخلد في دار الاشتعال ــ بالعين المهملة ــ وهي دار بقاء النار ، يعني جهنم ، قيل : المؤمن الفاسق بالصغائر ، أو الكبائر لا يخلد في النار ، ولا يُمنع أنْ يُصلَّى عليه صلاة الجنازة إذا مات بغير توبة ، لأنّ المؤمن لا يقطع رجاؤه من الله تعالى ، لأنّه لا ييأس من رحمة الله إلاّ القوم الكافرون ، وقوله عليه الصلاة والسلام : [صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ][6] ، وفيه خلاف المعتزلة والخوارج .

لَقَدْ أَلْبَسْتُ لِلتَّوْحِيدِ نَظْمًا   بَدِيعَ الشَّكْلِ كَالسِّحْرِ الحَلاَلِ

قال الشيخ رحمه الله : لقد كسوت توحيد الله المنزه عن الشريك نظما ، أي تركيبا مرتبا من الألفاظ كالدرر المرتبة في السلك ، وروي مكان (نظما) وشيا ، وهو مصدر في الأصل ، بمعنى التزيين في الثوب ، ثم استعمل هنا بمعنى المفعول ، أي الموَشَّي ، والبديع يجيء بمعنى المبدِع ، كقوله تعالى :﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[7] ، أي مظهرها من العدم ، وبمعنى المُبدَع ــ المفعول ــ من الإبداع ، وهو إظهار الشيء بعد أن لم يكن شيئا ، والمراد منه ما ظهر على غير مثال سبق ، والشكل هيئة محيطة للشيء بالحدود ، وقوله : كالسحر

---

[1] المسند الجامع 39/41
[2] المجادلة 11 ، وقبلها : [يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ] .
[3] المسند الجامع 33/477
[4] المسند الجامع 18/197
[5] الزلزلة 7
[6] نصب الراية لأحاديث الهداية 2/26
[7] البقرة 117 ، الأنعام 101

الحلال ، مشبه به للشكل ، والسحر له معنيان : أحدهما إخراج الباطل في صورة الحق ، والثاني / التأثير في الشخص بفعل يعجزه من العلم والعمل ، إمَّـا بسلب عقله ، أو **33 ب** بأخذ قوته ، أو بتغيير طبعه كالمسحور الذي لا يقدر على الجماع ، والمراد به هنا الأول ، إظهار الباطل في صورة الحق ، وهو حرام كالثاني ، لأنه مخادعة للناس ، ومنهية في الشرع ، وإنما وصفه هنا بالحلال ، ليرغّب الناس في نظمه بعلمهم أنه وشي بديع طيّب ، يعجز الغير عن إتيان مثله ، فلو أطلق السحر عليه بدون وصف الحـلال ؛ لتوهموا أنه حرام ، فلم يميلوا إليه .

قوله : لقد ، اللام في جواب قسم محذوف ، أي والله لقد ، وقد هنا للتحقيق ، لا للتقليل ، وألبست فعل فاعل ، وللتوحيد مفعوله الأول ، وزيد اللام للوزن ، وشياً مفعوله الثاني ، وقوله : بديع الشكل ، صفة ، وشيا كالسحر ، صفة بعد صفة .

يُسَلِّي الْقَلْبَ كَالْبُشْرَى بِرَوْحٍ   وَيُحْيِي الرُّوحَ كَالْمَاءِ الزُّلَالِ

أي يفرح القلب هذا الوشي ، كما تفرحه البشارة بإتيان محبوب ، أو بخبر خير ، وكل منهما راحة القلب ، ويحيى الروح أيضا بعلمه ، بعد موته بالجهل ، كالماء الزلال الذي لا كدورة فيه ، فإنه يحيى الأرض بالنبات بعد يبسها .

قوله : يُسلِّي ، فعل مضارع من التسلية ، وهو إزالة الغم ، وفاعله ضمير فيه يرجع إلى الوشي ، وكالبشرى متعلق به ، وهو مصدر بمعنى البشارة ، كالرجع بمعنى الرجعة ، وبرَوح ـ بفتح الراء ـ الراحة ، متعلق بالبشرى ، ويُحيى عطف على يُسلّي ، وفاعله مضمر فيه يعود إلى الوشي ، والرُّوح ـ بضم الراء ، ونصب الحاء ـ مفعوله ، وكالماء الزلال ، متعلق بقوله : يُحيى ، والزلال ، صفة الماء ، وهو العذب الصافي .

/ فَخوضُوا فِيهِ حِفْظًا وَاعتِقَادًا   تَنَالوُا جِنْسَ أَصْنَافِ المَنَالِ **34أ**

أي إذا كان هذا الوشي كما وصفته ، فأشرعوا فيه حفظا ، أي من جهة حفظ لفظه ، واعتقادا من جهة اعتقاد معناه ، لا من جهة الرد بما فيه بالشكوك والشبهات ، لكي تصلوا به حقائق أنواع العطاء من الله تعالى بفضله ، ومَن قال لفظة جنس زائد فقد سها ، لأنه لو زاد لانتقض المعنى ، إذ المراد جنس كل صنف من أصناف العطاء ، وأصله أنْ يقول أجناس أصناف ، إلاّ أنه جعله من قبيل : كلوا في بعض بطنكم ، أي في بعض بطونكم ، والفاء في فخوضوا جواب شرط محذوف ، وهو من الخوض ، بمعنى الشروع في الشيء ، والمنصوبان بعده تمييزان ، ويجوز أن يكونا حالين ، أي حافظين ، ومعتقدين .

قوله : تنالوا ، مجزوم بوقوعه في جواب الأمر ، وجنس مفعوله ، وأصناف المنال ، مضاف إليه ، وهذه الإضافة كإضافة خاتم فضة ، لأنه في تقدير مَن أصناف من المنال .

وَكُونُوا عَوْنَ هذَا الْعَبْدِ دَهْرًا بِذِكْرِ الْخَيْرِ فِي حَالِ ابْتِهَالِ

أي صيروا بسبب هذا النظم اللطيف مُعين هذا العبد ، أراد به نفسه ، أي عبد الله ، في وقت من الأوقات ، بذكـــر الخير ، أي بدعاء المغفرة والرحمة في حال تضرعكم إلى الله تعالى ، واستغفاركم له .

لَعَلَّ اللهَ يَعْفُوهُ بِفَضْلٍ وَيُعْطِيهِ السَّعَادَةَ فِي المَآلِ

أي عسى الله أنْ يتجاوز عن سيئاته ، ويغفر له بفضله ، ويُعطيه ببركة دعائكم ، الخير الفوز العظيم ، والنجاة الوافرة ، بدخوله الجنة في المرجع والمآل .

/ وَإِنِّي الدَّهْرَ أَدْعُو كُنْهَ وُسْعِي لِمَنْ بِالْخَيْرِ يَوْمًا قَدْ دَعَا لِي 34ب

أي وإني في جميع أزمنة حياتي ، أدعو بالخير ، بغاية طاقتي ، يعني من غير تقصير مني ، لِمن يدعو لي بالخير يوما من الأيام ، لعل الله يغفر له ويرحمه ، لأنّ للدعوات تأثيرا بليغا ، كما بيّناه قبل .

قوله : كونوا ، أمر من كان الناقصة ، وهي تستدعي اسما مرفوعا ، وخبرا منصوبا ، واسمها ضمير الجماعة فيه ، وخبرها عون ، مصدر بمعنى المُعين ، وهو مضاف إلى هذا المجرور محلا ، وهو مضاف إلى العبد ، وقوله : دهرا ، نصب على الظرف ، والعامل فيه العون ، قوله : بذكر الخير ، جار ومجرور ، مضاف إلى الخير ، متعلق بالعون ، والباء للسببية ، قوله : في حال ابتهال ، متعلق بالذكر ، قوله : لعل ، حرف من الحروف المشبهة بالفعل ، يقتضي اسما منصوبا ، وخبرا مرفوعا ، والله اسمه ، ويعفوه ، فعل مضارع ، فاعله مضمر فيه ، والضمير البارز المتصل به مفعوله ، وقوله : بفضله ، يتعلق به ، ويُعطيه ، عطف على يعفوه ، والسعادة مفعوله الثاني ، وفي المآل ، متعلق بيعطي ، وهو مفعول من الأول ، وهو الرجوع ، اسم مكان ، وإنّ كلعل في اقتضاء الرفع والنصب ، وضمير المتكلم المتصل به ، في محل النصب اسمه ، والدهر ، نصب على الظرف بفعل بعده ، وهو أدعو فاعله مضمر ، وهو أنا ، وكنه وُسعي منصوب بنزع الخافض ، وهو مضاف إلى الوسع ، المضاف إلى ياء المتكلم ، قوله : لِمَن ، متعلق بأدعو ، ومَن ، اسم موصول ، يقتضي صلة وضميرا يرجع إليه ، وصلتها قد دعا لي ، والضمير الذي فيه فاعله / يرجع إلى الموصول ، ولي ، جار ومجرور متعلق به ، وبالخير أيضا متعلق به ، 35 أ قُدِّم عليه للاهتمام ، ويوما ، نصب على الظرف ، عامله أيضا دعا لي ، والموصول مع صلته ، ومتعلقاتها في محل الجر لأجل اللام الجارة فيه .